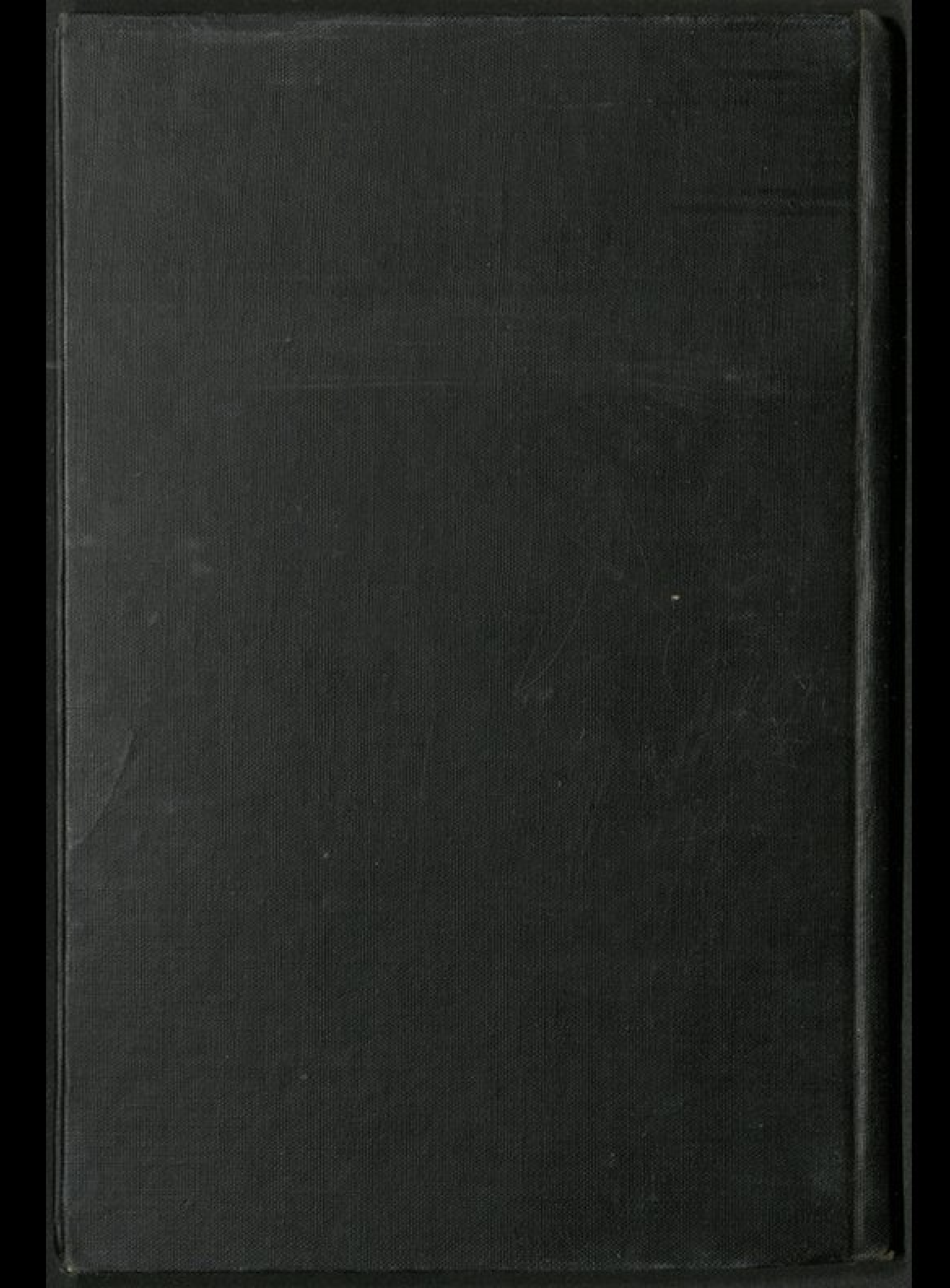
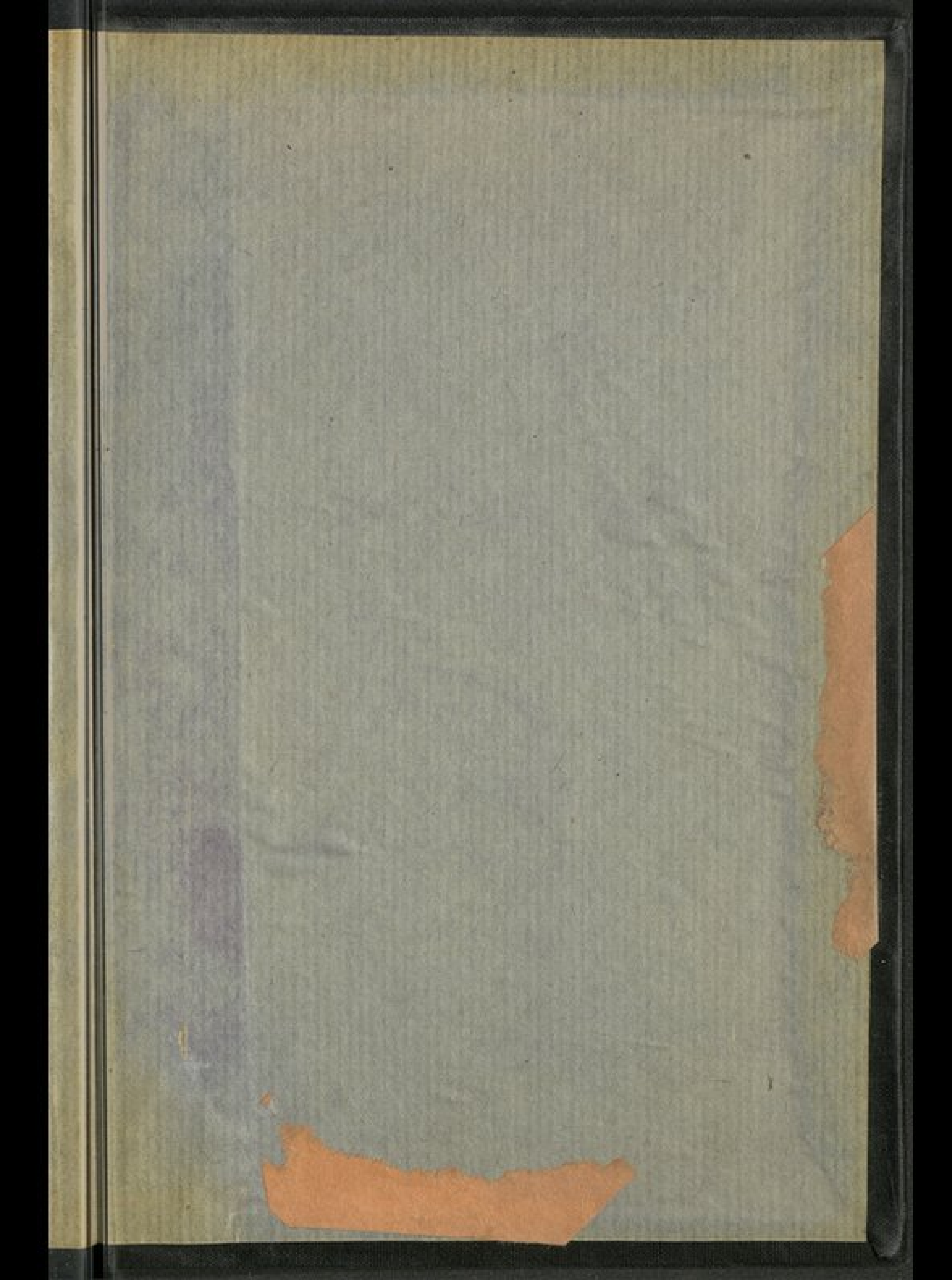




280.1:A81A

أصدقاء الاتحاد.

280.1
A81A



هدايا المبرة

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARY

280.1
D143dA
C.1

في سبيل

وحدة الكنائس المسيحية الظاهرة

بحسب رغائب يسوع المسيح

دليل دعاة الاتحاد



المطبعة البولسية ١٩٤٩ حريصا — لبنان



نأذن في طبعه

بيروت في ١٨ كانون الثاني سنة ١٩٤٧

✠ ايليمس صائغ

متروبوليت بيروت وجبيل

وتوابعها

اهداء الكتاب

الى جميع الذين يؤمنون بيسوع المسيح، ويقبلون رسالته، ويعلنون انهم اتباعه واخوته في المعمودية، ويريدون ان يخضعوا لمشيئته، ويحيوا حياته، ويسعوا ليحققوا في هذا العالم نشر ملكوت الله ومسيحه، في كنيسته الواحدة، المقدسة، الجامعة، الرسولية، جسد المسيح السرّي المؤلّف من جميع المعتمدين بالمسيح، الراغبين في ان يكونوا حقاً مسيحيين، ومسيحيين كاملين، المتخذين لهم شعاراً :

الوحدة... والخدمة... والمحبة...

الصادرة من المسيح، والعاملة بالمسيح، والموجهة الى المسيح، والكائنة في المسيح، والساعية لاجل المسيح





المسيح المعلم يقدم رسالته للعالم

ان الدليل الوحيد المطلق، الذي يلقي انواره الساطعة على المعضلة المسيحية خصوصاً، والمعضلة الدينية عموماً، هو

الوهية يسوع المسيح، ومشيئته في تأسيس كنيسة

فان كنيسة المسيح لا تستطيع ان تكون الا كما انشأها مؤسسها الالهي

فعند قدمَي المعلّم يجثو كل مسيحي، ويردّد له بنفس ملؤها الاخلاص في الطوية والحرارة في المحبّة، اقوال بطرس زعيم الرسل:

« الى مَن نذهب يا رب؟ ان كلمات الحياة الابدية هي عندك » - وعندك وحدك - ونحن آمنّا وعرفنا انك قدوس الله » (يوحنا ٦ : ٦٩ و ٧٠)

ولا يمكن المسيحي من ثم الّا ان يقف موقفاً واحداً، هو موقف صموئيل الفتى، فيقول للمعلّم:

« تكلّم يا رب، فان عبدك يسمع » (١ ملوك ٣ : ٩)

فيجيبه الرب قائلاً:

« انا الطريق، والحق، والحياة » (يوحنا ١٤ : ٦)

« انا باب الخراف ... وتكون حظيرة واحدة وراعٍ واحد» (يوحنا ١٠ : ٧ و ١٦)

« ان كنتم تحبوني فاحفظوا وصاياي» (يوحنا ١٤ : ١٥)

« ولستُ اسأل من اجل هؤلاء (الذين اعطيتني) فقط، بل ايضاً من اجل الذين يؤمنون بي عن كلامهم، ليكونوا بأجمعهم واحداً كما انك انت ايها الآب فيَّ وانا فيك، ليكونوا هم ايضاً واحداً فينا، حتى يؤمن العالم انك انت ارسلتني، وانك احببتهم كما احببتني » (يوحنا ١٧ : ٢٠ و ٢١ و ٢٤)

ونحن من جهتنا نذكر دوماً

« ان كلمة الله تبقى الى الأبد، وان هذه هي الكلمة التي بُشّرنا بها» (١ بطرس ١ : ٢٥)

« فان يسوع المسيح هو هو امسِ واليوم والى مدى الدهر » (عبرانيين ١٣ : ٨)

وبناءً على ذلك كله نتخذ هذا القرار الجازم والعزم الثابت:

« مُر يا رب بما تشاء، ولكن أعطني ان أقوم بما تأمر » (القديس اوغسطينس)

ويكون شعارنا: الصلاة ... والتواضع ... وثبات العزم ...

توطئة

يرى القارئ اللبيب، من خلال صفحات هذا الكتاب، أننا نبحث في معضلة وحدة الكنائس المسيحية الظاهرة المحسوسة، ناظرين الى وجهة خاصة هي اتحاد الكنيستين الملكيتين الكاثوليكية والارثوذكسية في البطريركيات الشرقية، وأننا نبذل الجهد لنضع في هذا السبيل منهاجاً عملياً خاصاً

نحن اعضاء كنيسة الروم الكاثوليك نقدّم لاخوتنا المحبوبين ابناء الكنيسة الارثوذكسية في البطريركيات المذكورة، بعاطفة حبّ بليغـة، منهاجاً لتقارب روحي ونفسي يشمل العقل والقلب والارادة والعمل، غايته الاتحاد، او بالحري اعادة الاتحـاد، وفقاً للمشيئة الالهية وفي الساعة التي حدّدتها عناية الله، بين الكنيستين اللتين ننتمي اليهما، المنفصلتين الآن بعد ان عاشتا عشرة قرون عيشة مشتركة في حضن كنيسة المسيح التي نعلن نحن معشر الكاثوليك والارثوذكس معاً انها واحدة، مقدسة، جامعة، رسولية، معصومة عن الضلال، ثابتة الى المنتهى، ضرورية للخلاص

ونجرؤ فنقول اننا نقدم لهم هذا المنهاج بثقة تامة، لأنه قد وُضع تحت اشراف غبطة السيد البطريرك مكسيموس الرابع الجزيل الطوبى، يوم كان مطراناً على ابرشية بيروت. ونجسر ايضاً ان نؤكّد ان توقيع غبطته وسماحه بنشر هـذه الصفحات دليل واضح على

إثباته هذا المنهاج الموافق لرغائب نفسه الكبيرة والمعبّر عن اعتباره لرؤساء ومؤمني الكنيسة الارثوذكسية في البطريركيات الشرقية، وقد أبدوا له جميعاً دلائل الاعتبار بداعي ارتقائه الى السدة البطريركية. ويطيب لنا ان نذكر بهذا الشأن الاقوال التي تبادلها بطريركا الطائفتين الكاثوليكية والارثوذكسية على الكرسي الانطاكي، والتي كان لها اجمل وقع في نفوس وقلوب المؤمنين الخاضعين لهما، مما حمل جريدة «الف باء» الدمشقية الارثوذكسية على كتابة ما مفاده ان اوساط كلتا الطائفتين تعدّ تبادل العواطف هذا بين البطريركين كمطلع عصر جديد يصير فيه التقارب والاخاء، وكدليل على الشوق الى اتحاد الطائفتين

سبقنا فنشرنا هذه الصفحات في اللغة الفرنسية، فكان إقبال المؤمنين على مطالعتها بارتياح في الشرق والغرب داعياً الى الشكر. فقد قدّمناها في الشرق لبطريركية الفنار المسكونية ولمدرسة خلكي اللاهوتية الممثلة في شخص رئيسها العلّامة السيد خريزستومس كورونثوس، فنالت استحسان الفريقين. وقرظتها مجلة «فوس» اي «النور» البطريركية. وراقت اعضاء حركة الشبيبة الارثوذكسية فقالوا لنا: «وكيف يسعنا ان لا نقبل بمثل هذا المنهاج الجميل؟»

اما في الغرب فقد صادفت استحسان كثيرين من أيمّة الحركة الاتحادية. وحسبنا ان نثبت هنا شهادة الاب بودوان البندكتي، وهو من أيمّة المقدّمين في الشؤون الاتحادية. قال بلطفه المعهود:

« اني اشكر لكم من صميم القلب (هديتكم) واهنئكم تهنئة كاملة بنجاحكم التام. فقد وجدت في كتابكم الروح الحقيقية التي لا بد منها لكل عمل يرمي الى الاتحاد. ووجدتُ كل شيء في كتابكم كاملاً: اختيار النصوص، وتوزيع الموادّ، والتقارب الروحي. وخصوصاً اراكم تضعون كل شيء ضمن حقل التقوى ومحبة الكنيسة المقدسة. فبكل قلبي اهنئكم وادعو لكم. واصلوا بكل جرأة عملكم هذا وهو الأهمّ في سبيل الكنيسة المقدسة »

وكتب الينا الاب كنغار الدومنيكي، مؤلف الكتاب الذي عنوانه « المسيحيون المنقسمون »، وهو من أجلّ الكتب التي تبحث في معضلة اتحاد الكنائس، يقول انه « قد قرأ هذا الكتيّب بجزيل المسرة ». وقال الاب ونسلو البندكتي : « أما انا فأحب كثيراً هذا الكتاب الصغير »

وجاءنا من مشروع مدارس الشرق : « نقدّم لكم شكرنا البليغ على الكتاب الذي بعثتم به الينا. فهو لذيذ في منتهى اللذة، ونحن واثقون بأنه سوف يساعدنا على ان نقوم بواجبنا كما ينبغي في سبيل الوحدة »

وقد أثّر فينا غاية التأثير كتاب احد الرؤساء الكنسيين الذي حرّضنا « على مواصلة أبحاثنا والعمل لاجل الاتحاد بمثل ما في كتابنا من روح المودّة والصداقة »

فيسوغ لنا اذن ان نأمل ان الغاية التي نسعى اليها للتقارب في

هذا الشرق الادنى، هي ما يتغلغل في قلوب جميع ابناء كنيسة الروم الكاثوليك، من رؤسائها الاعلين الى اكليرسها ورهبانياتها ونخبة المفكرين فيها وجميع مؤمنيها. فعلينا جميعاً ان نكون متأهبين لكل عمل وتضحية تقتضيها مطالب الوحدة والحق والمحبة، لنبلغ هدفنا الاكبر، وحدة الكنائس المسيحية

ومن الواضح الاكيد ان الاحوال الخطيرة جداً التي نجوزها تقتضي اكثر فأكثر اتحاد جميع المعمَّدين في وحدة الكنيسة المحسوسة الظاهرة، وفقاً لتمام رغائب السيد المسيح الحبر الاعظم والفادي الحبيب لجميع البشر، والرأس الأعلى لهذه الكنيسة التي شاءت مراحمه غير الموصوفة ان تجمعنا فيها بوحدة وثيقة تجعل منّا نحن المعمَّدين، وبالرغم من كل النقائص البشرية، جسده السري بواسطة المعمودية والايمان والمحبة الفائقة الطبيعة

بيروت في ٢٩ حزيران، عيد هامتي الرسل بطرس وبولس، عمودي الكنيسة، سنة ١٩٤٩

اصدقاء الاتحاد



نظرة عامة

١ — ان في العالم الديني معضلة خطيرة تنتصب تجاه عقول جميع المسيحيين بأسرهم. وعلى حلّ هذه المعضلة حلًّا مرضياً يتوقف حتماً تحقيق رسالة كنيسة المسيح العامّة تحقيقاً أكمل، وازدهار الحضارة المسيحية ازدهاراً اوسع نطاقاً، ومن ثمّ تمتّع عالمنا الحاضر بحالة اسعد: مما لا سبيل الى انكار خطورته الكبرى. وهذه المعضلة تنشأ حتماً عن انقسام المسيحية الى كنائس تدّعي كلها انها من المسيح وللمسيح، مع انها متعدّدة، مستقلة بعضها عن بعض، متنوعة، بل متناقضة متعاكسة في بعض عناصرها الاساسية. وهذه المعضلة تُدعى **معضلة اتحاد الكنائس المسيحية بوجه عام**، وعليها يدور كلامنا موجزاً في القسم الاول من هذا الكتاب

٢ — وان اسباباً لاهوتية، وتاريخية، ونظامية رعائية، بل جغرافية ايضاً، تحملنا على الخوض في بحث معضلة أخرى تشبه الاولى ومن نوعها، ناشئة عن انفصال الكنائس المسيحية الشرقية عن الغربية، منذ قرون عديدة، عنَينا انفصال الكنيسة الارثوذكسية عن الكنيسة الرومانية. فنحن نوجّه كتابنا هذا الى الشرق الادنى او الاوسط، واليه خصوصاً نوجه انظارنا. في القسم الثاني من كتابنا نبحث اذن هذه المعضلة الخاصة، **معضلة الانفصال بين الكنيستين الرومانية والارثوذكسية بوجه عام، وبين كنيسة الروم الكاثوليك والكنائس**

الارثوذكسية في البطريركيات الشرقية على الخصوص، باسطين منهاجاً عملياً جديداً للعمل على تقريب الفريقين في «*الشركة الاخوية الروحية لاصدقاء الاتحاد*»

٣ — وفي القسم الثالث من الكتاب، الذي عنوانه *نداءات من العلى وصلوات لاجل الوحدة*، قد جمعنا بعض نظرات او صلوات غايتها الاولى ان تنشئ او تذكي في النفوس الشعور الفائق الطبيعة بجسامة خطيئة الانقسام، والشوق الفائق الطبيعة الى الاتحاد، والعزم الفائق الطبيعة على ان نعمل لاجل الاتحاد، كلٌّ منّا في البيئة التي وضعته فيها العناية الالهية، في الشرق كما في الغرب

٤ — ونضيف الى ذلك كله، ملحقاً ضمناه معلومات وافية عن «الشركة الروحية الاخوية لاصدقاء الاتحاد» علاوةً على ما جاء في بحث المعضلة العامة لاتحاد الكنائس

٥ — وقد نثرنا في تضاعيف الكتاب صوراً لم يقع عليها اختيارنا الّا لغاية خاصة، وقد رتبناها وفقاً لغاية محدودة أملتها علينا مقتضيات الحياة الروحية كما يفهمها الشرق والغرب معاً، وجعلناها موافقة قدر الامكان للمواضيع التي نبسطها في غضون كتابنا. ومعظم هذه الصور مستعار من مجموعة الآباء البندكتيين «رهبان الاتحاد» في أمِه وشفتونيا (بلجكا) او من بعض الايقونات الروسية. ويطيب لنا ان نلفت انظار القراء الى تينك المجموعتين الجميلتين

٦ — اننا في عملنا نضع دوماً نصب عيوننا الكتلة الارثوذكسية والمؤمنين الارثوذكس، لاننا نبتغي من عملنا الرسولي هذا تقارباً نفسياً، وتماساً يرمي الى الاتحاد، في الساعة التي عيّنتها العناية الالهية. وقد اتخذنا لبحثنا وجهة شرقية مشتركة بين الكنائس الارثوذكسية والكنيسة الكاثوليكية الشرقية التابعة للطقس البيزنطي

٧ — ان للعمل الرسولي المسيحي، على تعدّد انواعه، علماً وفناً خاصاً يُدعى علم الطرائق الرعائية. وهو من طبيعة حاله، حكمة ودراية، اي توفيق بين الغايـة والوسائل. لذلك لا بدّ لهذا العلم او الفنّ الرعائي من اعادة النظر دوماً في اساليبه ومناهجه لتعديلها وجعلها موافقة لمقتضيات احوال الزمان والمكان. فهو اذن علم او فنٌ لا ينطبق الاّ على العهد الحاضر. والحال ان الظروف العامة في عصرنا الحاضر تحمل في ذاتها طابعاً خاصاً يقضي بتعديل خاص لعلم الطرائق الرعائية في ما يتعلق باتحاد الكنائس عموماً، وبالوجهة التي ننظر من خلالها الى مستقبل اتحاد الكنيستين الرومانية والارثوذكسية خصوصاً. وليس هذا التعديل سوى تطبيق الارشادات والتدابير العامة التي اتخذتها الكنيسة الرومانية، بدافع تنظيمات البابا بيوس الحادي عشر، وقـد برز من خلالها بروزاً خاصاً الناموس الحيوي القائل بضرورة موافقة العمل الرسولي المسيحي لاحوال العصر. فان كنيسة المسيح كائن حيّ يخضع لنواميس الكائنات الحيّة القابلة التطوّر في مظاهرها العرضية، فيما تبقى عناصرها الجوهرية هي هي لا تتغيّر

٨ — اخيراً نعلن ان هذا الكتاب ليس سوى توسّع في موضوع كراسة أخرى سابقة عرّفنا فيها مشروعاً نقدمه هنا كخاتمة للكتاب عنينا به « الشركة الروحيـة الاخوية لاصدقاء الاتحاد » وعنوان الكراسة السابقة : « في سبيل تقارب نفسي فكري بين الكنيستين الرومانية والارثوذكية — القانون الاساسي للشركة الاخوية الروحية لاصدقاء الاتحاد »

ويلي هذا الكتاب كتاب ثالث يظهر فيما بعد، يفسّر الكتابين السابقين ويبيّن مركزهما في العمل الرسولي . وعنوانه « كتاب التعليم اللاهوتي، التاريخي، الرعائي، لمعضلة اتحاد الكنائس المسيحية »

٩ — نبسط في ما يلي اهمّ المصادر التي اقتبسنا منها واستوحيناها في مؤلّفنا هذا:

١ . مجلة ايرينكون التي يديرها الآباء البندكتيون رهبان الاتحاد في آمه - شفتونيا (بلجكا)
٢ . كتاب نفيس لحضرة الاب كنغار الدومنيكي عنوانه : « انقسام المسيحيين » وهو يبسط المبادئ الاساسية لحركة « مسكونية » ذات صبغة كاثوليكية اي جامعة
٣ . مجلة اصداء الشرق، التي يديرها الآباء الانتقاليون
٤ . تاريخ الكنيسة للمؤلّفين « فليش » و « مرتين »
٥ . اللاهوت النظري عند المسيحيين الشرقيين للاب جوجي الانتقالي
٦ . الانفصال البيزنطي « « ايضاً
٧ . تاريخ المجامع لهفله — لكلرك
٨ . مقالات متنوعة في المعاجم الكبرى كمعجم اللاهوت لفاكان، ومعجم التاريخ والجغرافيا الكنسي لبودريار الخ

١٠ — بعد هذه الايضاحات والمعلومات يلذ لنا ان نختم هذه النظرة العامـة بالصلاة الطقسية التي نجعلها دليلاً لنا في عملنا كله : « لنسأل الوحدة في الايمان وشركة الروح القدس، ونودع ذواتنا وبعضنا بعضاً المسيح الاله »


JE SUIS LA LUMIERE DU MONDE
انه نور المسيح يضيء للجميع

القسم الاول

ان في العالم الديني معضلة عامة تدور حول اتحاد جميع الكنائس المسيحية، بحيث تظهر الوحدة التي ارادها السيد المسيح لجسده السري، اي كنيسته الواحدة الثابتة هي هي لا تتغير ولا تتزعزع

الحركة المسكونية

١ ـ حادث خطير تبنى عليه معضلة اتحاد الكنائس المسيحية

الحالة الدينية في العالم

	العدد		النسبة بالمئة
عدد سكان الارض :	٢١٧٠	مليون نسمة	
يُقسمون كما يلي :	٨٠٠	〃 يتبعون الدين المسيحي	٣٦،٩٠
	١٣٧٠	مليوناً 〃 الاديان غير المسيحية	٦٣،١٠
تُحصى الكنائس المسيحية كما يلي :	٤٠٥	ملايين في الكنيسة الرومانية	١٨،٧١
	٣٩٥	مليوناً في سائر الكنائس المسيحية	١٨،١٩
تحصى الكنائس المسيحية المختلفة هكذا :	١٦٤	مليوناً في الكنائس الارثوذكسية	٧،٥٢
	٩	ملايين في الكنائس الشرقية القومية	٠،٣٦
	٢٠٠	مليون في الجماعات البروتستانية	٩،٢٦
	٢٢	مليوناً في الشيع المختلفة الغربية والشرقية	١،٠٥
تُقسم الكنائس الشرقية القومية هكذا :	١٨٠	ألفاً في الكنيسة الكلدانية النسطورية	
	١٠٠	الف 〃 〃 اليعقوبية	
	٥	ملايين في الكنيسة الحبشية	
	٣،٥	〃 〃 〃 الارمنية	
	٢٢٠	الفاً في كنيسة الملبار	
تُقسم الجماعات البروتستانية كما يلي :	٦٦	مليوناً في الكنيسة اللوثرية	
	١٣	〃 〃 〃 الكلوينية	
	٣٢	〃 〃 〃 الانكليكانية	
	٨٩	〃 〃 الكنائس غير الموافقة	

تقسم الاديان غير المسيحية كما يلي :

	النسبة بالمئة
الديانات المؤسسة على وحي :	١٤،٩٤
الموسوية تعدّ ١٧ مليوناً	٠،٨٣
الاسلامية تعدّ ٣٠٥ ملايين	١٤،١١
الديانات الطبيعية الآسيوية : ٩٠٠ مليون	٤١،٣٤
الهندية تعدّ ٢٩٠ مليوناً	١٣،٤٠
البوذية « ٢١٥ «	١٠،١٤
الكنفوشية تعد ٣٦٠ مليوناً	١٦،٦٤
الشنتوئية « ٣٥ «	١،١٢
الديانات النفسية الحية تعد ١٠٠ مليون	٤،٦٠
سائر الاديان واللادينيون : ٤٨ مليوناً	٢،٢٢

٢ — نظرة مجملة على الاحصاء السابق

اذا ألقينا على الاحصاء السابق نظرة مجملة، سهل علينا ان نلاحظ النتائج التالية :

١ — وجود ديانات غير مسيحية في العالم : وهي عديدة، متميزة، متنوعة، متعاكسة، متناقضة في كثير من نقاطها الاساسية

٢ — وجود جماعات دينية تنتمي الى المسيح . وهي ايضاً متعدّدة، مستقلة بعضها عن بعض، مختلفة، متعاكسة، متناقضة ايضاً في بعض نقاط أساسية

٣ — كتلة كبيرة من البشر لا تزال خارجة عن الوحي المعلن وجود إله حيّ واحد في ثلاثة اقانيم . والنسبة المئوية بين هـذه

الكتلة والكتلة المسيحية تزداد كل سنة عند غير المسيحيين وتنقص عند المسيحيين، وفقاً لناموس الولادة الذي لا تقف عقبة في سبيله. ولا يطرأ على هذه النسبة تغيّر محسوس من جراء العمل الرسولي

٤ — حادث خطير، وهو ان الدين شامل في العالم. واذا درسنا هذا الحادث الديني في العصور الخالية عند جميع الشعوب وفي جميع البلدان، ورجعنا القهقرى في بحثنا هذا حتى اوائل الجنس البشري، لحظنا دائماً وفي كل مكان مظاهر دينية تدل على ان الدين سليقة في الانسان منذ ظهوره على الارض

ومن هـذه الملاحظات نستطيع ان نستنتج ما تعلّمه الفلسفة الصحيحة ان الانسان «حيوان ديّن»، اي كائن من طبيعته ان يكون متمسكاً بأهداب الدين، لان الدين موافق لطبيعته وتركيبه النفساني، وحاجة من حاجات الطبيعة البشرية الناطقة التي يزيّنها العقل والارادة والشعور العاطفي، وان الانسان ميّال الى الدين من تلقاء قواه الجنسية الخاصة

٣ — المعضلات الناشئة حتماً عن حالة العالم الدينية هذه وعن انقسام المسيحيين

المعضلة الدينية بوجه عام

١. هل نحن اولياء انفسنا وماجريات حياتنا الارضية، أم نحن بالحري خاضعون لكائن اسمى يُدعى الله؟

٢. اذا كان الله في الوجود، هل نحن مقيّدون تجاهه برُبط أدبية تُسمّى «ديانة»؟

٠٣ في علاقاتنا الدينية مع الله، هل نحن أحرارٌ من كل قيد، ام قد تدخل الله في هذا الامر فأظهر لنا مشيئاته ؟

٠٤ هل جميع الديانات حقيقية وصالحة ومقدسة على السواء، أم إحداها مفروضة علينا دون سواها ؟

٠٥ هل العقل البشري قادر من تلقاء نفسهِ ان يعرف معرفة اكيدة وحرة ذاته والاشياء الخارجة عنه . ام بالحري ليس في دياجير الافكار الدينية عند البشر ألا ريب وتردُّد وجهل معذور عن استقامة في النية ؟

٠٦ وفي هذه الاحوال كلها، تصحّ كلمة پسكال القائل : « ان اللامبالاة في الدين مغايرة للصواب ... ليس بيننا وبين السماء او جهنم الا هذه الحياة، وهي أسرع الاشياء عطباً »

٤ — كيف يحل العقل المسيحي المعضلة الدينية بوجه عام

٠١ بتأكيده ان العقل البشري قادر ان يدرك بتأكيد لا يشوبه ريب، بعض الحقائق العامة المدعوة « مبادئ أوليّة »، التي تحمل في ذاتها سطوع الحقيقة الواضحة ؛ وعلى ضوء هذه المبادئ الاولية يستطيع العقل البشري ان يتقدم في معرفة الاشياء الى ما لا حدّ له، في كلا الحقلين العقلي والعلمي معاً

٠٢ والحال ان العقل البشري، استناداً الى المبدإ الاول التعليلي، اي بانتقاله من المعلول الى العلة، يستطيع ان يعرف بتأكيد :

ان الله هو العلة السامية الغير المعلولة، خالق كل الاشياء، وسيّدها المطلق، الذي لا حدّ لكمالاته، والعناية السامية الحكمة في تدبير العالم

وان الانسان خليقة الله ، مخلوق على صورته ومثاله ، مركب من جسد قابل الموت ونفس خالدة، روحية، عاقلة، حرة ؛ وانه وُضع في هذا العالم الى حين، لينال فيما بعد جزاء ابدياً على ما فعل من الخير او الشرّ الأدبي

وان الدين هو رباط ادبي ضروري يربط الانسان بالله ، في كل ما هو ضمن نطاق اعماله الحرة

وان الانسان قد جُعل من ثمّ على هذه الارض لكي يعرف الله ويحبه ويخدمه، وبهذه الوسيلة يضمن سعادته في هذه الحياة وفي الاخرى

وان الله السيد الاسمى قادر ان يتدخل تدخلاً فعلياً في شؤون هذا العالم ليظهر مشيئاته، واحياناً على هامش الشرائع والنواميس الطبيعية التي وضعها هو نفسه من تلقاء ارادته السامية الحرة ؛ وان العقل البشري قادر ان يدرك هذه التدخلات الالهية على ضوء التاريخ، لان ذلك التدخل الفعلي من قبل الله خلافاً لنواميس الطبيعة، وهو ما نسمّيه الاعجوبة والمعجزة، لا بدّ ان يكون حدثاً محسوساً يمكن ادراكه بحسب نواميس الطبيعة عينها

٣ . ومن ثم يعلن لنا العقل المسيحي بتأكيد :

ان في البشرية تقليداً دينياً ناشئاً عن ان الله قد كلّم البشر منذ البدء، على دفعات عديدة وبأنواع متعدّدة، وبأساليب ترتقي في الكمال على خطّ صاعد : فالوحي يزداد وضوحاً من آدم، الى رؤساء الآباء، الى موسى، الى الانبياء، الى يسوع المسيح

وان يسوع المسيح يسمو الجميع سموًا لا يُبارى، يوليه سلطاناً يفوق الجميع في شخصه، وفي اعماله، فيبدو حقاً ان الوحي الالهي يبلغ فيه حدّ الكمال

فتنتج من ثمّ ان الدين المسيحي الذي أسسه يسوع المسيح هو الدين الأوحد الضروري والنهائي للبشرية كلها جمعاء. لان يسوع المسيح هو كلمة الله الذي تجسد «ومن امتلائه اخذنا كلنا». والدين المسيحي يُدعى باسم خاص « كنيسة المسيح »

٥ — بمَ تقوم معضلة انقسام المسيحيين

١. ان الدين المسيحي او كنيسة المسيح هو الدين الذي أنشأه بطريقة إلهية يسوع المسيح ابن الله المتجسد وجعله الدين الاكمل، الأوحد، الثابت هو هو لا يتزعزع، الضروري، المفروض على البشر في جميع الازمنة والامكنة

٢. فكيف نوفّق بين هذا الرسم الالهي لكنيسة المسيح وانقسام النصرانية الى كنائس متعدّدة، مستقلة بعضها عن بعض، لا مختلفة فقط، بل متعاكسة متناقضة في كثير من عناصرها الاساسية؟

٣. واذا كان التوفيق بينها مستحيلاً، كيف يمكن في حالة الانقسام الحاضرة ان تحقّق تحقيقاً كاملاً مشيئات يسوع المسيح في انشائه كنيسته الواحدة غير المتزعزعة؟

بهذا تقوم معضلة الوحدة المسيحية، التي يمكن التعبير عنها بعبارة أقرب الى المحسوسات بتسميتها « معضلة اتحاد جميع الكنائس المسيحية في الوحدة الظاهرة التي ارادها المسيح »

٦ ـ ما هي المسائل الناجمة حتماً من تعدد الجماعات الدينية التي تنتمي الى المسيح وتدعي انها من المسيح

١ . مسئلة اولى فلسفية :

كيف يمكن هذه الكنائس المتضادة المتناقضة في تعليمها للوحي المسيحي الالهي ان تكون على السواء حقيقية ومقدسة وعاملة في كيانها الكامل ؟

٢ . مسئلة تاريخية لاهوتية :

١ - كيف يمكن كنائس متعددة، متضادة متناقضة، ان تكون كلها على السواء موافقة لما اراده يسوع المسيح في انشاء كنيسته ؟

٢ - هل تعدد الكنائس على هذا النحو موافق لتاريخ كنيسة المسيح على توالي الاحقاب ؟

٣ - هل هذه الكنائس كلها على السواء حقيقية، صالحة، فعالة في كيانها الديني بكامله ؟

ام هي حادت كلها معاً عن فكرة مؤسسها الاولية في احد عناصرها الالهية ؟

ام ظلّت واحدة منها حاصلة على كمال كيانها الالهي، ثابتة هي هي ابداً على توالي العصور في التاريخ، بالرغم من تطوراتها الحيوية في تعليمها وسلطانها، وبالرغم مما طرأ على بعض اعضائها من النقائص والاخلال ؟

واذا كانت كنيسة المسيح لا تقدر ان تحمل في ذاتها اصلها الالهي، فما هي علامات كنيسة المسيح الحقيقية ؟

٣ . مسئلة رعائية :

كيف السبيل في حالة انقسام النصرانية الحاضرة، الى تحقيق جميع نيات يسوع المسيح بشأن الوحدة التي ارادها لكنيسته الواحدة، الوحيدة ؟

ان في هذه المسئلة الاخيرة كنه المعضلة التي ترجع الى اتحاد الكنائس المسيحيّة في الوحدة التي ارادها يسوع المسيح

٧ — مشيئات السيد المسيح، الدليل الاسمى لحل معضلة انقسام الكنائس المسيحية

١. من الواضح ان كنيسة المسيح يجب ان تكون في وحدة كيانها الداخلية ما شاء يسوع المسيح ان تكون. والدليل الأسمى لحلّ معضلة انقسام النصرانية انما هو مشيئة يسوع المسيح

٢. والحال ان الشهادات الصحيحة، التي لا مردّ عليها، الموضحة مشيئات يسوع المسيح في انشاء كنيسته، عديدة. وسوف نسمعها عن قليل كنداءات تدعونا الى الوحدة. وهي :

صوت المعلّم نفسه في كتبه المُنزَلة

وصوت الرسل محقق مشيئات المعلّم

وصوت التقليد، المفسّر الحيّ الدائم للكتب المنزلة

وصوت الليتورجيا، التي هي قاعدة للايمان، كما ان الايمان قاعدة للصلاة

وصوت التاريخ، الذي هو حياة الكنيسة على مدى العصور

واخيراً صوت العقل نفسه الذي ترشده انوار الايمان

٨ — حالة العالم الدينية تجاه العقل المسيحي

جميع الكنائس المسيحية توافق على هذه الشهادات الدالة على مشيئات المسيح في انشاء كنيسته، وتعلن باتفاق ان انقسام المسيحيين يجب ان يُعدّ :

تناقضاً فلسفياً بالنسبة الى الله الحقّ الأسمى، والصلاح بالذات والحكمة السامية

وخطيئةً . . . لانه مخالف للمشيئات الالهية في تأسيس كنيسة المسيح

وتناقضاً تاريخياً لان الكنيسة عاشت قروناً عديدة واحدة ووحيدة كما كانت في منشإها

ونكبةً . . . من اجل الشرور الروحية والزمنية التي سببها الانقسام ولا يزال يسببها، والعثرات والموانع التي يضعها في سبيل الخير

وشكاً وحجر عثرة لغير المسيحيين، الذين تعسر عليهم معرفة وجه يسوع المسيح الحقيقي، ووجه كنيسته الغير المتزعزعة، من خلال ذلك التناقض وهذا الانقسام

«ما من انسان يعمل الفكر ويستطيع ان يظهر بدون ان يخطأ، ان حالة المسيحيين الحاضرة موافقة لمشيئة السيد المسيح» (احد اساقفة الانكليكان)

٩ — اسباب انقسام النصرانية — الانقسام خطيئة تثقل ضمير جميع المسيحيين

١ . لا سبيل الى البحث عن اسباب انقسام المسيحيين وفتور البشر في تحقيق المآرب الالهية، خارجاً عن خيانة المسيحيين انفسهم لدعوتهم الفائقة الطبيعة . فان كنيسة المسيح، بما أنها عروسه، هي نقية ومقدسة في جوهرها اي في عناصرها، وفي غايتها، ولا تقوم حقاً الّا بقداسة اعضائها

٢ . بيد انها غرسة إلهية تمتد جذورها واصولها في حقل الانسانية، فهي معرّضة من ثمّ لجميع شوائب الحياة الارضية . واذا كانت ابواب الجحيم او قوى الشرّ الطبيعية لا تقوى على ابادتها، فهي مع ذلك لا تخلو من التأثير فيها، على حسب نواميس الطبيعة البشرية

الضعيفة القابلة دوماً للعثار بالرغم من جهودها ونهوضها من كبواتها

٣ . لذلك لا بدَّ من القول، مراعاةً لمطالب العدل، ان انقسام المسيحيين، خطيئة تقع تبعتها على النصرانية كلها . فهو نتيجة الاخلال والنقائص الطبيعية، والخطايا الفردية، وكل اخلال بالواجب، والاوهام، والاهواء، والمنافع البشرية العامة والخاصة التي تسود البشر وتسيِّرهم

من الامور التي يثبتها التاريخ ان الانفصالين الكبيرين اللذين وقعا في النصرانية، الاول في القرن الحادي عشر بين الشرق والغرب، والثاني في القرن السادس عشر في الغرب نفسه بواسطة البروتستانية، يتفقان مع حقبتين كانت قد وصلت فيهما الحالة الأدبية في الغرب الى أقصى درجات الانحطاط . وحسبنا تأييداً لهذه الحقيقة الأليمة ان نقرأ تعليمات البابا ادريانس السادس الى مندوبه الذاهب الى المانيا عند نشأة الاصلاح البروتستاني[1]. ونجد امثال هذه الاعترافات في جميع العصور . فان مجموعاتنا الانسكلوپدية وتواريخنا الكنسية الكاثوليكية لا تخبئ مثل هذه الشهادات ولا تسعى لتخفيف وطأة أقبح حوادث التاريخ

٤ . لقد ندَّد سيدنا يسوع المسيح تنديداً عنيفاً قاسياً بنوع من الكبرياء عند الحاصلين على الحقيقة . وقد ظلَّ اسم هذه الكبرياء معروفاً في التاريخ بالكبر الفريسيّ . ذلك الكبر، والقذى الذي في عين القريب، كثيراً ما يُنسياننا الخشبة التي في عيننا . أمَّا المسيحي

(١) راجع الاب كونغار في كتابه «انقسام المسيحيين» صفحة ٣٥٥ و ٣٥٦

العامل في سبيل الاتحاد فانه يتخذ له عينين بصيرتين بتوفيقه بين الحقيقة والمحبة توفيقاً يجعلهما ممتزجتين امتزاجاً تاماً مطلقاً

٥. هذا، وعلى جميع المسيحيين ان يتوبوا عن هذه الخطيئة، وان يضمّوا توبتهم هذه الى تكفيرات حمل الله الذي أخذ على عاتقه خطايا جميع الناس على السواء

نتيجة تفرض حتماً على كل مسيحي صادق ومتروٍ

ممّا تقدّم بيانه تنبثق نتيجة تثقل ضمير كل مسيحي صادق ومتروٍ:

باسم الله، وباسم السيد المسيح، وباسم كنيسته؛

باسم الحق والمحبة الالهيين؛

باسم خير النفوس؛

باسم الحضارة المسيحية في العالم؛

يجب ان يتجدّد جميع المسيحيين في روح دعوتهم الفائقة الطبيعة التي تجعلهم ابناء الله، واخوة يسوع المسيح، وابناء مريم البتول، ليضعوا حداً لذلك التناقض، لتلك الخطيئة، لتلك النكبة او الكارثة، لذلك الشك الفظيع، أعني الانقسام

يجب ان جميع الكنائس المسيحية تتحد، او تعود الى الوحدة، اتماماً لمشيئات يسوع المسيح في انشاء كنيسته

ومن ثمّ يجب على كل مسيحي ان يكون من عمّال الاتحاد: بصلواته، بافكاره، بعواطفه، باشواقه، بارادته، باعماله، وقصارى القول بعقيدته، لان العقيدة تتضمّن هذه الاشياء كلها

١١ — على من تقع مسؤولية العمل ؟

١ . ان البابا بيوس الحادي عشر، في كلامه على الواجب الرسولي الذي يثقل عاتق الكنيسة بان تحمل رسالة يسوع الى الغير المسيحيين في العالم كله، يضع مسؤولية ذلك الواجب على جميع المسيحيين، باسم المعمودية التي تجعلهم جميعاً متضامنين بالنسبة الى مصالح اسرة الله الكبرى اي كنيسة المسيح . فالمسؤولية اذن تقع على جميع المسيحيين، على حسب منزلة كل واحد منهم في الكنيسة

والبابا يحدد ترتيب تلك المسؤولية في العمل الرسولي على المنوال الآتي : اولاً على الحبر الاعظم نفسه، ثم على الرؤساء الكنسيين، ثم على المؤسسات الرهبانية، ثم على جمعيات العمل الكاثوليكي، واخيراً على المؤمنين العاديين

٢ . ويمكننا ان نعتمد الترتيب عينه في تحديد مسؤوليات العمل الرسولي في سبيل الاتحاد . واذا تبعنا نظام المحبة بدا لنا ان لواجب العمل لاجل الاتحاد الاسبقية على واجب الرسالة بوجه عام

٣ . ونجد الترتيب عينه في هذه المسؤولية في رسالة حديثة للبابا بيوس الثاني عشر، بداعي التذكار المئوي الخامس عشر لوفاة القديس كيرلس الاسكندري (٤٤٤ — ١٩٤٤)

١٢ — الحركة المسكونية — اسبوع الاتحاد

١ . ان الحركة المسكونية حركة دينية كبيرة، وليدة النظر الى النصرانية المنقسمة، نشأت في عصرنا الحاضر وامتدت الى جميع

المذاهب المسيحية، غايتها تحقيق الوحـدة المسيحية بحسب نيات يسوع المسيح في انشائه كنيسته. اساسها اشتراك جميع المسيحيين في جسد يسوع المسيح السرّي الذي هو الكنيسة، لكونهم جميعاً قد اعتمدوا للمسيح واتحدوا به بنعمة المعمودية، وصاروا جميعاً ابناء الله والكنيسة في الايمان والمحبة والضمير الصالح المستقيم

٢ . ميزات هذه الحركة : السعي لفهم التعاليم المسيحية، والتفاهم والتحابّ المسيحيان، وخصوصاً الصلاة والتنافس في ممارسة الحياة المسيحية

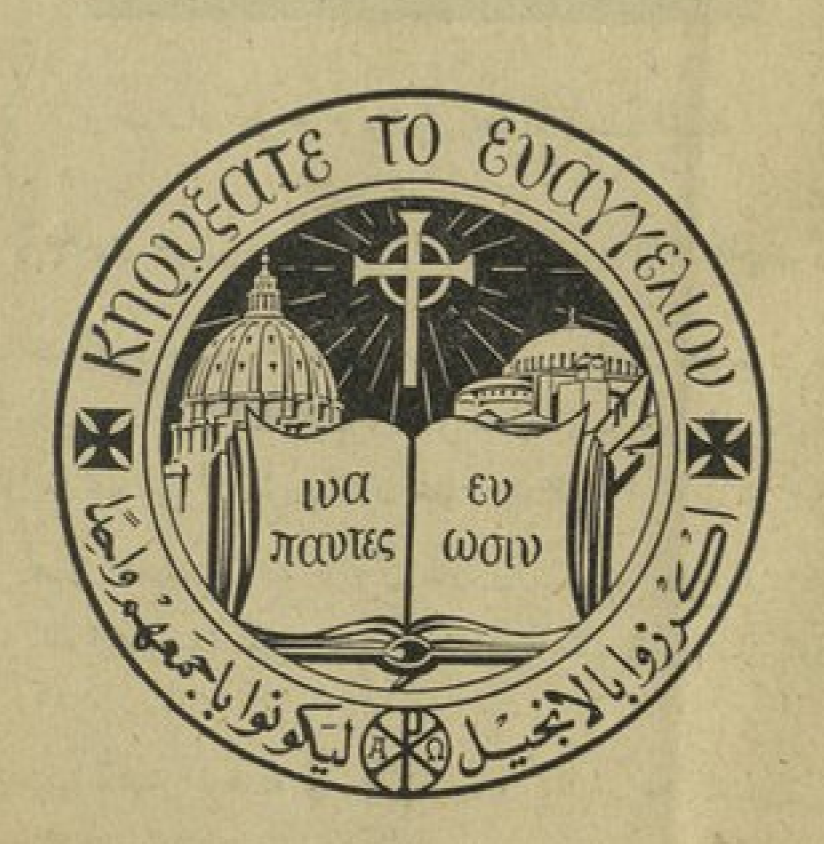
وأنصع عبارة لهذه الحركة اسبوع الاتحاد، وهو اسبوع صلاة عامة تصعد من قلوب جميع المسيحيين لتحقيق الوحدة المسيحية بحسب مشيئات يسوع المسيح . ويقع هذا الاسبوع بين عيدين لرسولين تكرمهما جميع الكنائس كعمودين لبيعة المسيح : عيد جلوس القديس بطرس على كرسي رومة في ١٨ ك٢، وعيد اهتداء القديس بولس في ٢٥ منه . وعندنا نحن تباع الطقس البيزنطي يقع اسبوع الاتحاد هذا بين عيد القديس اثناسيوس الكبير (١٨ك٢) والقديس غريغوريوس اللاهوتي (٢٥ منه)

٣ . أصل اسبوع الصلاة هذا بروتستاني انكليكاني، يرتقي الى السنة ١٩٠٧ ـ ١٩٠٨ . وقد ثبّت هذه الممارسة البابا بيوس العاشر منذ السنة ١٩٠٩ . وهي الآن تكاد تكون عامة شاملة في الكنيسة الكاثوليكية، وقد دخلت ولا تزال تدخل اكثر فأكثر في تقاليد وعوائد سائر الكنائس المسيحية

٤. ان التئام جميع المعمّدين على هذا النحو عند قدمي الآب السماوي، في محبة ذاك الذي احبنا الى حدّ انه نزل من السماء ليسكن فيما بيننا، مملوءاً نعمةً وحقاً، ومن امتلائه أخذنا كلنا النعمة والحقّ، يبدو لكثيرين كهبوب خاص للروح القدس في عصرنا الحاضر، الذي انما هو عصرٌ يتطوّر فيه عالمنا المضطرب ويحنّ الى سلام عام لا يتفق مع الانقسام

٥. فعلينا اذن ان نصلّي لاجل الوحدة، وخصوصاً ان نحيا حياة مسيحية لاجل الوحدة. ذلك منهاج الحركة المسكونية :

حنين الى الوحدة، وتألم لفقدان الوحدة، وشوق حار الى اعادة الوحدة





القديسان بطرس وبولس حاملان كنيسة المسيح

«انت الصخرة، وعلى هذه الصخرة سأبني كنيستي . وابواب الجحيم لن تقوى عليها . وسأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات . فكل ما تربطهُ على الارض يكون مربوطاً في السماء، وكل ما تحله على الارض يكون محلولاً في السماء .» (متى ١٦ : ١٨ و ١٩)

« ليَ وُهبت النعمة من الله لاكون خادماً للمسيح يسوع في الامم وأباشر خدمة انجيل الله الكهنوتية، حتى يكون قربان الامم مقبولاً ومقدساً بالروح القدس» (رومة ١٥ : ١٦)

« ولمَّا عرفوا النعمة الموهوبة لي مدَّ يعقوب وكيفا ويوحنا المعتبرون كأعمدة اليَّ والى برنابا يمناهم للشركة » (غلاطية ٢ : ٧)

« اني لمتعجب كيف تنتقلون هكذا سريعاً عن الذي دعاكم بنعمة المسيح الى انجيل آخر . وان لم يكن انجيل آخر لكن قوماً يبلبلونكم ويريدون ان يقلبوا انجيل المسيح . ولكن ان بشرناكم نحن او ملاك من السماء بخلاف ما بشرناكم بـه فليكن مبسلاً . كما قلنا سابقـاً اقول الآن ايضاً ان بشركم احد بخلاف ما تلقيتم فليكن مبسلاً » (غلاطية ١ : ٦-٩)

ان انقسام المسيحيين خطيئة، وكارثة، وشك وعثرة. هـو يُفسد بشارة بطرس وبولس ويغيّر وجهها، ولا يساعد على معرفة وجه يسوع المسيح الحقيقي ووجه الحارسة الامينة لانجيله، اي الكنيسة عروس المسيح...

ان انقسام المسيحيين يكثّر خطايا النفاق وانتهاك القدسيات

على كل مسيحي ان يعمل في سبيل الاتحاد . . .

باسم انجيل الله الواحد . . .

والانجيل انما هو المسيح . . .



القسم الثاني

ان في العالم الديني معضلة خاصة تدور حول اتحاد الكنيستين الرومانية والارثوذكسية

وهذه المعضلة تبدو في احوال لا تسمح بأن يُغضّ الطرف عن حلها

منهاج عملي لتحقيق هذا الاتحاد :

اصدقاء الاتحاد

١ ـ عناصر معضلة اتحاد جميع الكنائس المسيحية وصعوباتها

١ . ان عناصر هذه المعضلة شديدة التعقّد، حتى انها تبدو غير قابلة للحلّ

فان الكنائس المسيحية المختلفة تعيش منذ قرون وقرون منعزلة كل واحدة عن الاخرى، متضادّة، متحاربة

وكل واحدة منها قد تطورت منذ الانفصال بحسب كيانها الخاص، وفي احوال مختلفة، كثيراً ما كانت بالأولى ادعى الى توسيع شقة الانفصال مما الى التوحيد او الى اعادة الاتحاد

وشمل تطوّرها هذا جميع النواحي الدينية: في العقائد، والشرع الادبي، والطقوس والحق القانوني، والتاريخ الكنسي، والكتاب المقدس ...

وزاد هذا التطوّر تعقّداً عنصر لا مناص منه في الهيئة الاجتماعية البشرية: هو العنصر القوميّ او الجنسيّ

فصار اليوم من ثمّ لكل واحدة من هذه الكنائس وضعها الحاضر المكتسب، اي حالتها الثابتة نتيجة الماضي، ثم صلات جديدة تقيدها بالحاضر

وثبتت على هذه الحال بالرغم من جهود بُذلت في سبيل الاتحاد، دامت قروناً عقيمة، وباءت بالخذلان، حتى في مجامع مسكونية عامة كمجمعي ليون (١٢٧٤) وفلورنسا (١٤٣٩)

فنشأ عن ذلك كله بين تلك الكنائس اختلافات من حيث الافكار، والعواطف، والمصالح، والرغبات، والقدرة او العجز

٢ . ويظهر ايضاً لاول وهلة ان حالة العالم السياسية الحاضرة تزيد على ثقل الماضي عبء الحاضر الباهظ، وما يرافقه من الاهتمامات الآخذة في حياة الشعوب والكنائس

٢ - موقف الكنائس تجاه الحركة المسكونية

٠١ ان هذا الموقف منوط ببعض اسباب سامية، تقضي به على الكنائس ذوات السلطة المنظمة تجاه معضلة اتحاد جميع الكنائس

١ - فما من كنيسة عالمة بالوحي الالهي المسلّم اليها ترضى بأن يوضع هذا الوحي من جديد على بساط البحث

٢ - وما من كنيسة ترضى بأن تشترك في الالهيات او القدسيات في ما تعدّه مضاداً للشرع الالهي

٣ - وما من كنيسة تسلّم بتحقيق اتحاد لا يتفق مع ما لديها من الوحي الالهي

٠٢ فالكنيسة الكاثوليكية مثلاً، مع ما ابدته من التشجيعات للحركة المسكونية، قد رفضت ان تشترك اشتراكاً فعلياً رسمياً في الاجتماعات الكبرى وليدة تلك الحركة. وعلى هذا النحو ايضاً ابدى مندوبو الكنائس الارثوذكسية تحفظاتهم تجاه النقطة الاساسية المعروضة عليهم في المباحث العامّة، لانها كانت تروم اعادة النظر في مسألة السلطة الروحية المرتبة في كنيسة المسيح

٠٣ على انه لا بدّ من الاقرار بأن تقدّماً محسوساً حقيقياً قد جرى في المباحث الاعتقادية ضمن اجتماعات الحركة المسكونية. والمذاهب البروتستانية نفسها جعلت الآن في اساس مباحثها الاعتراف بقانون الايمان النيقاوي. والامل معقود على ان الشعور بالوحدة، وهو بليغ في الحركة المسكونية، سوف يحمل المشتركين في تلك الاجتماعات العامة على السير الى الامام في سبيل تحقيق وحدة محسوسة، على حسب رغائب سيدنا يسوع المسيح « لبنيان جسد المسيح »،

الى ان ننتهي جميعنا الى وحدة الايمان ومعرفة ابن الله، الى انسان كامل، الى مقدار قامة ملء المسيح» (افسس ٤ : ١٢ و ١٣)

فمقدار قامة ملء المسيح ليس هو الّا مقدار قامة ملء كنيسته، التي هي جسد المسيح. والحال ان انقسام الكنائس المسيحية يدور حول طبيعة هذا الجسد السرّي الذي هو الكنيسة

٤ . لذلك لا يمكن ان تكون الحركة المسكونية، وهي لا تريد ان تكون، الّا تنافساً بين جميع المسيحيين في الصلاة وفي ممارسة الحياة المسيحية، تحت تأثير هبوب الروح القدس؛ ورائدها الاستسلام التام لهـذا الروح الالهي في ما يتعلق بالوقت المحدود للاتحاد والوسائل والطرق المبلّغة اليه. وهكذا تكون هذه الحركة المباركة ارتقاء الى قامـة ملء المسيح. وتكون في الوقت نفسه حركةً واسعة جداً ترمي الى النمو في المعرفة والتعليم الديني، مما هو جدير بكل اعتبار وتقدير

٣ ــ بين الكنيستين الرومانية والارثوذكسية ــ معضلة اتحادهما

١ . من الواضح ان وحدة كنيسة المسيح المنظورة المحسوسة غير محققة بين المسيحيين المنقسمين

٢ . ومن الواضح ايضاً ان كنيسة المسيح واحدة وثابتة هي هي لا تتغيّر. فهي اذن موجودة حتماً بين الجماعات الدينية التي تنتمي الى المسيح، وتحمل في ذاتها علامات منشإها الالهي وموافقتها التامة الحالية لكنيسة العصر الرسولي والعصور التابعة. ذلك هو

التعليم المُشترك بين الكنائس المسيحية ذوات السلطان المنظَّم، وعلى الخصوص تعليم الكنيستين الرومانية والارثوذكسية اللتين تستندان الى ماضيهما المشترك فتدَّعيان كلتاهما انهما للمسيح

٣ . لكن الواقع ان هاتين الكنيستين انفسهما هما في حالة انفصال، ولا اشتراك بينهما في الالهيات . فباسم المسيح، وباسم وحدة كنيسته المنظورة، وباسم كل ما يتكوّن منه كيانهما الخاص، وباسم تاريخهما المشترك، يُحتم عليهما ان تسعيا بكل قواهما الفائقة الطبيعة لتُزيلا الانقسام الكائن بينهما، وتحققا، الواحدة تجاه الاخرى، تلك الوحدة المحسوسة المنظورة في الكنيسة، بالاشتراك الذي رغب ويرغب فيه السيد المسيح

٤ . فنحن اذن تجاه معضلة خاصة تتناول اتحاد الكنيستين الرومانية والارثوذكسية، وهي المعضلة الوحيدة التي نبحث فيها من الآن فصاعداً، لاسباب سوف نبسطها قريباً. ونروم ان ننظر اليها من جميع نواحيها، كالى معضلة اتحاد جسمين كنسيين . تلك وجهة نظر لا يمكن ان تتحقق البتة بالنسبة الى الجماعات الدينية الخالية من سلطان منظَّم

٥ . واذا اردنا تحديد الاساليب او الطرائق الرعائية المؤدية الى هذه الغاية المثلى، وجب علينا ان نبنيها لا على الاعتبارات اللاهوتية بين الكنيستين في حالتهما الحاضرة فقط، بل على اعتبارات اخرى تاريخية ايضاً . فان الحالة الحاضرة هي نتيجة حياة تاريخية ماضية ترتقي حتى الى اوائل النصرانية . فاذا فصلنا الحاضر عن الماضي في

ابحاثنا هـذه، جعلنا ذواتنا في خطر افساد حقيقته من الوجهتين اللاهوتية والبسيكولوجية، وبالتالي من حيث الوجهة العملية ايضاً، مما يُفسد علينا كل عملٍ رعائي جدّي في سبيل الاتحاد

٠٦ واذا كانت عناصر المعضلة العامة لاتحاد جميع الكنائس المسيحية عموماً معقّدة غاية التعقّد، تصدمُها عقبات كؤود، تظهر من ورائها بجلاء اعظم مناقضة الانقسام لوحدة الكنيسة كما ارادها السيد المسيح عند تأسيسها؛ فعناصر معضلة اتحاد الكنيستين الرومانية والارثوذكسية ليست على هـذا النحو، اذ تنير السبل وترشد الى حلّها الاعتبارات اللاهوتية والتاريخية والرعائيـة التي سبقت الاشارة اليها هنا

٠٧ فمن الواضح، على ضوء هذه الاعتبارات نفسها، ان بين الكنيستين الرومانية والارثوذكسية وجوهاً للتشابه والتقارب عديدة في عناصرهما الالهية الخاصة وفي كل ما يكوّن تاريخهما، حتى ان الكنائس الكاثوليكية الارثوذكسية الخاصة تظهر كأخوات قد فصلت بينهنّ لسوء الطالع الاحوال البشرية التي تسود حيـاة الافراد والشعوب خصوصاً

٤ — بين الكنيستين الرومانية والارثوذكسية

البواعث الشديدة الدافعة الى بحث معضلة الاتحاد

٠١ من الباطل ان يخفي المرء على نفسه صعوبات هذه المعضلة

٠٢ على ان البواعث الدافعة الى مقابلتها قوية لا يستطيع ان

يردّها شيء من الاعتبارات البشرية، وهي: حقـوق الله والسيد المسيح والكنيسة، وخير النفوس وخير المجتمع. وهذه كلها حقائق راهنة سامية لا يعلو عليها شيء. ثم ماسبق ذكره من ان انقسام الكنائس تناقض وخطيئة وويل وشك. وهذه البواعث ايضاً تسمو على جميع الاعراض البشرية

٣. اسباب الانقسام ليست الهية. فمن الواضح الجليّ اذن ان الشوق الى الاتحاد يعني الشوق الى اتمام مشيئة الله ورغباته

والنعمة لا يمكن ان تنقص الناس، وان كان الناس قادرين على عدم مطاوعتها. فرجع الامر اذن الى استعمال الوسائل بحسب مشيئة الله، ورغائب السيد المسيح، ونيات الكنيسة، ووفقاً لخير النفوس. فالغاية فائقة الطبيعة، والوسائل فائقة الطبيعة ايضاً، وبها يُضمن فعل الروح القدس، مع ما يحوّط هاتيك الوسائل وتلك الغاية من الغموض

٤. هو النضال القائم دوماً بين الخير والشرّ. فاذا كان انقسام الكنائس خطيئة فهو عمل ابناء الهلاك، عمل المعاند الذي جاء ذكره في رسالة القديس بولس الثانية الى اهل تسالونيكي (ف ٢٠ : ٢ و ٣ وما بعدها) «المترفّع فوق كل من يُدعى الهاً او معبوداً». وان ما يعوقه الآن انما هو، بحسب الرسول نفسه، الحاجز الاكبر الواقف في وجه جميع فعلة الشرّ والشيطان والمسيح الدجّال، اعني به المسحاء والمتحدين بالمسيح، الحاملين المسيح، وهم خصوم المسحاء الدجّالين المتحدين بالشرّ وبابليس

٥. نحن نعلم حق العلم ان الظفر يكون المسيح. « متى أخضع له كل شيء فحينئذٍ يَخضع الابن نفسه للذي أخضعَ له كل شيء ليكون الله كلًّا في الكلّ » (١ كورنثس ١٥ : ٢٨)

اما الآن فالجهاد القائم ضدّ الشرّ هو الذي يعوق مجيء الخصم المعاند. لسنا نسود الحوادث، لكنَّ لنا ضمانةً بأن النعمة لن تنقصنا. فعلينا ان نقدّم ما عندنا من النيات الصالحة والجهود لحلّ معضلة اتحاد الكنائس حلًّا عملياً. وعلى رغائبنا الصالحة، لا على نجاحنا، سوف نُدان مع العالم في يوم الجزاء العظيم

٥ — بين الكنيستين الرومانية والارثوذكسية

وجوه التشابه والتقارب

١. حياة دينية مشتركة مدة عشرة قرون، حتى الانفصال المشؤوم الذي تمّ سنة ١٠٥٤، اذ كانت الشركة عامة بين كنائس الشرق والغرب. اذن وحدة في حضن كنيسة المسيح (بدون نعتٍ يخصّصها)، وذلك وفقاً لكمال رغائب يسوع المسيح، ونياته عند تأسيس كنيسته

« ان الانقسام قد تمّ بين الشرق والغرب في اواسط القرن الحادي عشر. فكل ما يسبق هذا التاريخ يكوّن كنزاً مشتركاً بين الفريقين المنفصلين. فان الكنيسة الارثوذكسية ما كانت على ما هي لو لم يوجد لديها القديس كبريانس والقديس اوغسطينس والقديس غريغوريوس الكبير؛ كما ان الكنيسة الكاثوليكية الرومانية لا تستطيع ان تستغني عن القديسين اثناسيوس وباسيليوس وكيرلس الاسكندري » (راجع لوسكي : بحث في التصوّف في الكنيسة الشرقية ص ٩)

٢ . حالة انفصال ليست ناجمة عن فعل رسمي غايته الانفصال او الهرطقة حول مسئلة تتعلّق بالعقيدة او بالنظام الكنسي، بل هي ناجمة عن مجموع ظروف واحوال أليمة يؤسف لها جداً مصدرها الشرق والغرب معاً. ذلك ان الحرم الذي رُشق به بطريرك لا يُعدّ حرماً ترشق به كنيسة، وبأولى حجة الكنائس المتعلّقة بها. والحال ان الانفصال القائم بين الشرق والغرب منذ تسعة قرون ليس له من مصدر سوى ذلك الحرم الذي رشق بـه مندوبو الحبر الاعظم البطريرك مخائيل كرولاريوس (١٥ تموز ١٠٥٤) في ظروف مؤلمة، وفي اثناء شغور الكرسي الرسولي، مما يولي ذلك الحرم وجهاً من الخطورة لا يخفى على كل ذي بصيرة

٣ . الى الآن لم يصدر قطّ من كنيسة رومة حكم واحد اعتقادي ضد كنيسة القسطنطينية والكنائس المنتمية اليها؛ بل بالحريّ قد اعترف بحالة الانفصال هذه مجمعان غايتهما الاتحاد، هما مجمع ليون (١٢٧٤) ومجمع فلورنسا (١٤٣٩). على ان نتائج ذينك المجمعين الاتحاديين لم تدم طويلاً ولم تنتشر كثيراً. واذا كان المجمع الفلورنتيني المسكوني لم يحقّق الاتحاد الذي أُعلن احتفالياً وباتفاق الآراء، فلأنها قد عقبته احوال تاريخيـة خطيرة (كانهيار المملكة البيزنطية، والفتح العثماني، والحرب الصليبية الغربية ضد الاتراك الخ)، وهذه كلها قد لاشت كل النيات الصالحة وجعلت العلاقات بين الشرق والكنيسة الرومانية مستحيلة من الوجه البشري

٤ . فوجوه التشابه بين الكنيستين من حيث العقائد والنظام الحالي، هي هذه :

١ – الاعتراف بقانون ايمان واحد هو القانون النيقاوي القسطنطيني، وينجم عنه وحدة في العقيدة والآداب والاسرار والطقوس، بقطع النظر عن بعض اختلافات في العقيدة نشير اليها في ما بعد

٢ – قبول مجموعة واحدة للاسفار الالهية المنزلة

٣ – الاعتراف بالمصادر الايمانية الواحدة : الكتاب المقدس، والتقليد، والسلطة المعلمة الحية

٤ – التسليم بالنظام الكنسي التقليدي السابق لعهد الانفصال، بقطع النظر عن الشركة الرومانية

٥ – تصور كنيسة المسيح تصوّراً واحداً عند الفريقين : اي جماعة فائقة الطبيعة، كاملة، منظورة وغير منظورة، ينعشها الروح القدس الذي هو نفس الكنيسة، واحدة، مقدّسة، جامعة، رسولية بدوام وتسلسل سلطة بطرس والمصف الرسولي، جسد المسيح السرّي الذي نحن كلنا اعضاؤه

٦ – وحدة واتفاق في اجتماعات الحياة المسيحية : في حقل الكمال والتصوّف، وفي ممارسة الاسرار الواحدة، وطقوس العبادة الواحدة، تحت تأثير تعاليم روحية واحدة في اسسها الاعتقادية

ومن ثمّ فكنيسة المسيح هي، في نظر الفريقين، واحدة ووحيدة:

واحدة في ذاتها، في عناصرها الالهية البشرية التي منها كوّنها مؤسسها الالهي؛

ووحيدة اي فريدة في كيانها المحسوس

٥. ان كنيسة المسيح، **الالهية والانسانية معاً**، عرضة لجميع التقلبات التي تتكوّن منها حياة البشر على الارض

لكنها، بنعمة مؤسسها الالهي الذي يبقى معها الى انقضاء الدهور، **تبقى هي هي** في عناصرها الالهية. فهي **معصومة عن الضلال** في حفظ وتعليم وتنمية وديعة الوحي الالهي الذي تسلّمته من التقليد الرسولي

وبما انها اكمل تحقيق للمآرب الالهية الازلية في العالم، وعهد الله الجديد للبشر، فلا بدّ ان تكون من ثمّ **الديانة النهائية للبشر، ولا دين لهم سواها**، بحيث لا يكون خلاص للناس ان لم يحصلوا على نعمة المسيح، ويتحدوا بالمسيح، ويدخلوا في عهد المسيح وفي كنيسته، اماً فعلاً وفي الواقع واماً بالشوق

٦. ان كنيسة المسيح، **الواحدة في جوهرها**، **الفريدة** بكيانها الالهي، هي متنوّعة في عناصرها البشرية، اي في طقوسها وعباداتها وانظمتها

وذلك موافق لمشيئة المسيح الذي ترك لكنيسته مهمة تحديد هذه الامور

وموافق ايضاً للتقليد الرسولي الذي لم ينفِ بعض التنوع ضمن نطاق الوحدة الجوهرية في هذه المؤسسة الالهية والبشرية معاً

وموافق ايضاً لحياة الكنيسة منذ اول عهدها

وموافق لشهادة الكنائس العامة، وعلى الخصوص لما اعلنته الكنيسة الرومانية رسمياً في مجامعها، كمجمع فلورنسا، ولما اعلنه الاحبار الاعظمون مراراً

وموافق اخيراً لمقتضيات الكنيسة عينها الطبيعية والفائقة الطبيعة. فان رسالتها

تعمّ جميع الشعوب والاجناس، لتبثّ فيهم جميعاً روح المسيح . لكن ذلك كله موافق لجميع مقتضيات الاحوال البشرية التي يتكوّن منها نوع النشاط الخاص بكل شعب وكل جنس

يجب اذن ان يرى كل شعب ذاته في بيته في الكنيسة المحسوسة الخاصة التي يعيش فيها

٧ . وهنالك فكرة أخرى مشتركة بين الكنيستين الرومانية والارثوذكسية . وفيها مبادئ تساعد على حلّ جميع الخلافات الناشئة بين الكنيستين، كما سنرى قريباً :

فان كنيسة المسيح **كائن حيّ** يحمل في ذاته عنصراً مزدوجاً لكل حركة حيوية : اعني **عنصر النموّ الحي في العقيدة**، يظهر في وديعة الوحي الذي خُتم بموت آخر الرسل، **وعنصر موافقة الكنيسة** لجميع ضروريات الحياة، في جميع عصور التاريخ، وفقاً لرسالة الكنيسة الابدية

٦ — نتيجة مزدوجة الخطورة لطريقة العمل في سبيل الاتحاد

١ . ان الكنيسة الارثوذكسية لا تزال محافظة على السلطان الذي كان لها مدة اشتراكها مع الكنيسة الرومانية . فلها اذن سلطة التعليم، وسلطة الولاية، وسلطة التقديس

ذلك ما تقتضيه حياة الكنيسة الارثوذكسية، قبل انفصال السنة ١٠٥٤ وبعده ؛ ذلك ما تعترف به الكنيسة كلها جمعاء، اعترافاً لا مردّ عليه ولا اعتراض . فقد جاء في مجلة اصداء الشرق سنة ١٩٣٧ ص ٣٨٥، وفي مجلات اخرى غيرها كصديق الاكليرس وستوديون وارينكون وغيرها : «يبدو لنا ان تعاليم التاريخ واللاهوت

والحق القانوني، وسلوك الكنيسة ايضاً، تترك لخدمة الكنيسة الارثوذكسية السلطة والولاية التي كانت لهم سالمة غير منثلمة »

٢ . من هذه النتيجة الاولى تنبثق نتيجة أخرى تمتدّ الى ما ألفنا ان نسمّيه « الاشتراك في القدسيات او في الاشياء الالهية »

١ — ان السلطان الكنسي في جميع درجاته يمارَس في الكنيسة الارثوذكسية ممارسة شرعية، وفقاً للشرائع التقليدية السابقة لعهد الانفصال . ذلك ما تسلم به الكنيسة الجامعة

٢ — ان اصحاب السلطة في الكنيسة الارثوذكسية يمارسون شرعياً سلطان الكهنوت الذي لهم . والمؤمنون يطلبون منهم شرعياً وبحقّ معونة خدمتهم الروحية

٣ — الاوامر المانعة الاشتراك في القدسيات او الالهيات مع غير الكاثوليك والصادرة من قبل الكنيسة الرومانية يجب تفسيرها وتأويلها بحسب طبيعة الافعال الممنوعة . وطبيعة هذه الافعال تختلف باختلاف الكنائس المنوي الاشتراك معها في هذه القدسيات . فالحالة تختلف بحسب ما تكون تلك الكنائس ارثوذكسية، او كنائس شرقية لها رتبها الكنسية، او جماعات بروتستانتية، او جماعات اخرى دينية مسيحية، او جماعات من الدين الموسوي، او جماعات تدين بغير الدين المسيحي

فيجرم من ثمّ جرماً باهظاً ضد المحبة بل ضد العدل من يجعل مساواةً تجاه هذه القوانين المانعة، بين الارثوذكس والبروتستان والاحرار واليهود والمسلمين وهلمّ جرّاً

فان المنع الصادر من الكنيسة الرومانية تجاه بعض افعال من الكنيسة الارثوذكسية لصيانة الايمان الكاثوليكي في اوقات واحوال معينة محدودة، ليس من الشرع الطبيعي، ولا من الشرع الالهي الوضعي، بل من الشرع الوضعي الكنسي فقط . فهذا الشرع الكنسي البشري يتحمّل وقف الناموس او الشريعة اذا كان لذلك سبب كاف ولم ينجم عنه شك او عثار حقيقي، سواء كان في الفريق الكاثوليكي ام في الفريق الارثوذكسي . ولنا في ذلك مثل واضح لا يحمل ريباً او تأويلاً وهو مثل حالة

خطر الموت، الذي يجوز فيه للكاثوليكي ان يطلب الاسرار من كاهن ارثوذكسي . لكن هنالك احوالًا اخرى، ومنها حالة الضرورة الروحية، يصحّ فيها وقف مفعول الشريعة، بعد فرض ما يجب فرضه من الشروط

على ان تقدير هذه الاحوال يختلف باختلاف الاستعدادات التي تسود بين الفريقين . فان كانت محبة وروحاً اتحادية كان التقدير واسعاً مبنياً على التساهل والتسامح، وان كان عدواناً وانقساماً كان التقدير ضيقاً لا يدع مجالًا للتساهل

٣ . فنحن نرى ان موافقة الحياة المسيحية عند الارثوذكس لمطالب الكنيسة التي قبل الانفصال (اي كنيسة المجامع السبعة) ، كما تعلّم الكنيسة الارثوذكسية، ويقين الارثوذكسيين انهم تابعون لكنيسة المسيح الحقيقية، مضافةً الى رغبة مسيحية صادقة في الاتحاد وفقاً لقرارات المجمع الفلورنتيني، هذه كلها تجعل من الارثوذكس، بقوّة ما بين الكنيستين من وجوه التشابه والتقارب الجوهرية والتاريخية، مسيحيين كاثوليكيين بالقلب والروح

٧ — بين الكنيستين الرومانية والارثوذكسية

وجوه الاختلاف

١ . **الوجه الاول هو عدم الاتحاد او الاشتراك في الواقع** . على ان كلًا من الكنيستين تعتقد ان ليس ثمّة من مسوّغ الهي لهذا الواقع المشؤوم

٢ . من الواضح ان **الاختلافات** في الطقوس والعبادات والانظمة ليست في حدّ ذاتها اختلافات، والمجمع الفلورنتيني خصوصاً قد أعلن

صوابية هذه الاختلافات وأقرّ للكنيسة الشرقية امتيازاتها التقليدية

٣ . فالاختلافات العقائدية هي اذن الاختلافات الوحيدة التي تبحث فيها معضلة الاتحاد . فما هي هذه الخلافات ؟ وما هو مداها ومرماها ؟ وهل هي من الكنيسة الارثوذكسية بحصر المعنى ام هي بالحري وليدة بعض اللاهوتيين، او بعض اصحاب المراتب الكنسية، او بعض المؤمنين ؟

١ – واول ما يمكن التوقف عنده للجواب عن هذه الاسئلة انما هو حدث تاريخي يلفت النظر . وهو ان الكنيسة الرومانية قد واصلت، بعد الانفصال، جمع المجامع والتوفيق بين حياتها وضرورات الازمنة المختلفة . هكذا الامم الغربية مضت في سبيلها في التطوّر الاجتماعي وفي نموّ حضارتها من جميع وجوه حياتها الداخلية والخارجية ؛ وقد كانت البابوية العنصر المنعش لهذا التطور الحيوي . فقد نشأت في حضن الكنيسة، بل فيما بين اكبر المحن التي المت بها، حركة فكرية، وفلسفية، ولاهوتية، وروحية، وفنية، وتفتحت هنالك وتوسّعت ووسمت الغرب بوسم خاص لا يباري فيه احد

كذلك الشرق ظلّ هو ايضاً يحيا حياته الخاصة في وجهة تختلف عن وجهة الغرب المسيحي، واحياناً في وجهة معاكسة، وقد ضيّق عليه الخناق الحكم التركي الذي اجهز على الامبراطورية الشرقية الكبرى وارهق البلاد البلقانية، وعزل روسيا عن سائر البلاد المسيحية إبان نموّها المسيحي . فنجم عن ذلك كله عالمان، تكوّنا وفقاً لرسمين متباينين، وسطت عليهما تقلبات الحياة البشرية في تيار جارف لادارة البشر الحرة

٢ – اما من الوجهة التعليمية او العقائدية، فقد واصلت الكنيسة الغربية في مجامعها عمل المجامع السابقة للانفصال من حيث العقيدة، وحدّدت عقائد جديدة : فمنها تحديدات المجمع التريدنتيني (١٥٦٣) التي اوحت بها الحركة البروتستانية ووسمت

الكنيسة الرومانية بوسم تعليمي وشرعي حريّ بكل اعتبار، ولم يمسّ الكنيسة الشرقية ولا واحد من تلك التحديدات . ومنها تحديدات المجمع الفاتكاني (١٨٧٠) وعلى الخصوص تحديد سلطة الحبر الروماني العليا الجامعة، وتحديد عصمة هذا الحبر الاعلى الشخصية في بعض احوال يحدّدها المجمع . ومنها تحديد البابا بيوس التاسع لعقيدة الحبل بمريم العذراء، منزهةً عن الخطيئة الاصلية (١٨٥٤) . والحال ان الكنيسة الارثوذكسية لا تعترف بما لهذه الافعال الكنسية من القوّة والفاعلية العامة

٣ — والكنيسة الارثوذكسية، من جهتها، قد بالغت بعد الانفصال في بيان بعض المسائل المختلف بشأنها في بعض وجوهها فقط، سواء كان في الشؤون العقائدية او الروحية، ام في الحياة المسيحية ايضاً . فهذه المسائل موضوع الخلاف منذ الانفصال قد اوضحها المجمع الفلورنتيني، الذي اعلن انه من بعد حلّ هذه المشاكل يجب الاقرار بأن التقليد الرسولي هو هو في كلتا الكنيستين . على ان هذه المسائل التي حُلت في المجمع الفلورنتيني قد اعيد فيها البحث فيما بعد، ولا تزال حتى الآن موضوع جدال عند بعض اللاهوتيين الارثوذكس او عند ارباب السلطة الكنسية الارثوذكسية . واليك بيانها :

١ . هل من شرع الهي يولي اسقف رومة من حيث هو خليفة القديس بطرس الرئاسة العامة في الكنيسة؛ وهل من مسوغ لامتداد تلك الرئاسة الى الكنيسة الجامعة ؟

٢ . هل الروح القدس ينبثق من الآب، ام من الآب والابن او من الآب بالابن ؟

٣ . هل قوّة التقديس والاحالة الجوهرية في الذبيحة الالهية متعلقة بكلام السيد عند تأسيسه السرّ : هذا هو جسدي، هذا هو دمي؛ وهل تلغى قوة التقديس من صلاة استدعاء الروح القدس، التي تبقى لها مع ذلك قيمتها الليتورجية ؟

٤ . هل حالة النفوس البارة تحدد حالاً بعد الموت، ام تنتظر لذلك الدينونة العامة ؟

٤ — وهنالك ايضاً معضلة لاهوتية خطيرة لا يسع اللاهوتيين الكاثوليك ولا الكنيسة الكاثوليكية ان يعدُوا عنها ويمرُّوا امامها مرّ الكرام بدون اثارة مباحث طويلة : وهي مسألة ثبات الرباط الزواجي وعدم انحلاله الا بالموت، ومن ثمّ

فساد التعليم القائل بانحلال الزواج بعلة الزنى . فمن رأي اللاهوتيين الكاثوليك ان ممارسة الطلاق قد امتدت في الكنيسة الارثوذكسية امتداداً واسعاً يبدو انه مبيد للاسرة المسيحية

٥ — ولا شك ان هنالك ايضاً اختلافات في التعليم عديدة لا بد ان تظهر لامين النقادة الباحثة في لاهوت كلتا الكنيستين . وهي ناجمة عن ان الابحاث اللاهوتية عند الفريقين قد جرت على خطين متآزيين . والظاهر ان معظم هذه الخلافات هو من النوع النظري البحت . وسوف نذكر في سياق الحديث بعض تلك الخلافات التي يعلق عليها اللاهوتيون الارثوذكس اهمية خاصة

٦ — وهنالك وثيقة شهيرة قريبة العهد تعبر بطريقة رسمية عن آراء كنيسة القسطنطينية في ما نحن بصدده من مواطن الخلاف بين الكنيستين الرومانية والارثوذكسية، وهي منشور البطريرك انثيمس السابع (٢٩ ايلول سنة ١٨٩٥)، رداً على براءة البابا لاون الثالث عشر حيث دعا هذا الحبر الكبير الشعوب الشرقية دعوة ملحّة الى الاتحاد

٤ . وهوذا الآن ما يقوله بشأن هذه الخلافات لاهوتي اختصاصي في امثال هذه الابحاث، الاب مرتن جوجي الانتقالي، في كتابه : اللاهوت النظري عند المسيحيين الشرقيين (جز٤٠ ص ٦٤٠-٦٤٣)

ان من انعم النظر في تطوّر الفكر الارثوذكسي منذ الانفصال، يظهر له ان جميع هذه المسائل موضوع الخلاف بين الكنيستين يرجع الى ما يسميه اللاهوتيون الارثوذكس «آراء» لاهوتية قابلة للتحديد ؛ لكنها لا تحمل في ذاتها الآن وسم العقيدة الواجب الايمان بها . فان العقائد التي حددتها المجامع السبعة قبل الانفصال تفرض وحدها مثل هذا التسليم والايمان . ومن تصفح تاريخ تطوّر اللاهوت الارثوذكسي يرى ان جزءاً كبيراً من اللاهوتيين الارثوذكس، كبيراً بالعدد وكبيراً بالاهمية، قد خالجته في هذه الشؤون آراء شبيهة بآراء اللاهوتيين الكاثوليك

ومها يكن من هـذه المسائل الثانوية، فمسألة رئاسة الحبر الروماني تبقى المشكلة الخطيرة بل عقدة العقد في معضلة الاتحاد بين الكنيستين الرومانية والارثوذكسية . كما قال اللاهوتي الروسي بلغكوف في مؤتمر ڤلهراد (١٤ تموز سنة ١٩٣٢)

« لا داعي بعد الى التوقف امام الاختلافات العديدة التي كان يدور عليها الجدال في الاحقاب السالفة . فهنالك مسألة واحدة باقية تحت البحث والجدال بين الكاثوليك وغير الكاثوليك ، وهي لعمر الحق على جانب عظيم من الاهمية، عنيت مسألة طبيعة الكنيسة وادارتها » . (راجع مجلة وحدة الكنيسة سنة ١٩٣٢ ص ٧١٣)

٨ — اعتراض لاحد اللاهوتيين الارثوذكس المعاصرين

وردت في احد المؤلفات الحديثة لاحد مشاهير العلماء الارثوذكس فكرةٌ مفادها ان الاختلافات بين الكنيستين ، التي يسعى ان يفسّرها البعض بواسطة اختلاف جوهري بين الحالة العقلية والنفسية عند الشرقيين والغربيين ، وبنزعات مختلفة شعبية وثقافية ، يجب بالحريّ تعليلها وتفسيرها بوجود تقليـدين متباينين في التعبير عن الحقائق اللاهوتية بحيث يختلف فهم كتابات الآباء القديسين ، كالقديسين باسيليوس واوغسطينس مثلاً ، بحسب اختلاف التقليد الذي يُنظر من خلاله الى تلك الكتابات الواحدة

٩ — جوابنا على هذا الاعتراض

نجيب على هذا الاعتراض بما يلي :

١ . يجب ان نعتبر خيراً مشتركاً بين الكنيستين الرومانيـة والارثوذكسية حقبة القرون العشرة التي مرّت وكانت فيها الكنيستان

متحدتين في حضن الكنيسة الجامعة التي ليست من الشرق ولا من الغرب بل هي معدّة من جراء نية مؤسسها الالهي لان ترضي مطالب جميع الشعوب والعناصر

فمن هذه الفكرة ينتج ان التعليم التقليدي عند آباء الكنيسة وملافنتها يجب تفسيره بحسب تعاليم السلطة الحية الحالية . على ان جوهر هذه السلطة الحية ليس منذ عهد الانفصال واحداً في الكنيستين، وهذا هو السبب الأساسي ونقطة الخلاف الكبرى في الانفصال . لذلك اذا شاء الفريقان ان يبحثا في ايّ موضوع كان من مواطن الخلاف بين حياة الكنيسة في العهد الحاضر وما كانت عليه يوم كانت الشركة بينهما كاملة، فلا سبيل الى ذلك الا في النظر اليها من الوجهة التاريخية

٢ . فنحن موقنون، بخلاف اصحاب الاعتراض السابق، من الوجهة التاريخية المحضة، ان انفصال السنة ١٠٥٤ لم يتمّ بناءً على خلاف في العقيدة، وان مسألة انبثاق الروح القدس لم يكن لها اي نصيب في ذلك الانفصال بل هي تابعة له

٣ . صحيح ان بين الكنيستين خلافات تدور حول عقائد داخلية: كانبثاق الروح القدس، وجوهر النعمة غير المخلوق، وعدم امكان فقدانها، وجوهر الاستحقاق، وعدم التمييز بين الخطيئة المميتة التي تُفقد النعمة والخطيئة العرضية التي لا تُفقد مقترفها النعمة، وعدم اعتراف الكنيسة الارثوذكسية برئيس أعلى اوحد للكنيسة المنظورة بحسب مشيئة السيد المسيح . فهذه الخلافات هي من جملة معضلات الاتحاد التي يجب البحث فيها من جديد على ضوء عيشة الكنيستين المشتركة مدة عشرة قرون

٤ . فنحن نعتقد اذن ان التعليم الروحي التقليدي واحد في جوهره عند الكنيستين، لكنه منذ الانفصال قد تطوّر في حقلين مختلفين اختلافاً عملياً، احدهما شرقي له اساليبه الخاصة، والآخر غربي . لكنها اساليب خاصة تدور حول عبادات عملية ولا تمسّ في شيء جوهر العقائد الداخلية

ولا غروَ، فسوف تنشأ في ما بعد امثال هذه الخلافات العرضية في طرائق العبادة عند الكاثوليك انفسهم، متى صار لكل شعب من الشمال او الجنوب او الشرق الاقصى عباداته الخاصة على وفق استعداداته وثقافته وتقاليده . فالعبادة لقلب يسوع الاقدس مثلاً، المنتشرة انتشاراً محسوساً في الكنيسة الرومانية، هل نستطيع ان نقول عنها انها غريبة عن تعاليم الكنيستين في العشرة القرون الاولى من حياتهما المشتركة ؟

٥ . نستطيع ان نقول ان العقائد الداخلية التي يشير اليها الاعتراض وما ينشأ حولها من الخلاف لا تشير الى شيء من التناقض بين التقليدين الشرقي والغربي، ولا تعني ان التوفيق بينهما مستحيل . اجل نحن نرى ان الهوّة بين الكنيستين تزداد اتساعاً وعمقاً مع توالي العصور، بحسب مجرى الشرائع البسكولوجية البشرية، وذلك لان الهوّة تُعدُّ عند الكثيرين لا قرار لها ولا سبيل الى اجتيازها

٦ . بيد اننا، باسم المصلحة التي يحتم بها ملكوت الله ومسيحه وكنيسته وخير النفوس، نريد ارادة ثابتة ان ننظر الى ما وراء تلك الهوّة المشؤومة، وان نبذل جهدنا لنرمي شيئاً فشيئاً، بالتقارب النفسي الذي نعلنه، ما يلزم من التراب لنملأ الهوّة الفاصلة بيننا، الى ان يزول من بيننا كل حاجز . فقد قال احد ارباب السلطة

الارثوذكس « ان حواجز الانفصال القائمة بين المعمَّدين لا ترتفع الى السماء، وأسسها لا تبلغ حتى قلب الكنيسة الذي هو الروح القدس. فحائط الانفصال أرضيّ اذن، ومن ثمَّ هو زائل وسوف يزول

٧. وبناء على ما تقدّم نكرّر قولنا ان الخلافات بين الفريقين لا تستطيع ان تثبت تجاه النيات الصافية السليمة الراغبة في الاتفاق والاتحاد. فنحن نوقن ان هذه النيات السليمة متبادلة عند الفريقين، لكنه يلزمها البيئة والجوّ البسكولوجي الموافق. ومن واجب الشرق والغرب ان يعملا على تحقيق هذا الجوّ، على ضوء العقائد الروحية الاساسية التي هي هي واحدة لا تتغيّر، لانها ليست للشرق ولا للغرب ولا من احدهما، بل من المسيح الذي اعدّها واعلنها لجميع البشر من الجهات الاربع التي تحت القبة الزرقاء

١٠ — لا بدّ من البحث في معضلة الاتحاد

بين الكنيستين الرومانية والارثوذكسية

١. ان هاتين الكنيستين قد انفصلتا بعد ان عاشتا عيشة جوهرية واحدة مشتركة، فسارتا منذ عصور وقرون في حقلين متميزين، وفي جوّين دينيين وسياسيين واجتماعيين مختلفين، تحف بهما مصالح بشرية متضادة، واوهام سابقة متبادلة، وعدم تفاهم متبادل، في احوال بشرية او دينية مختلفة؛ فمن نتائج النواميس الطبيعية الفائقة الطبيعة ان تنشأ بينهما وتتطوّر شيئاً فشيئاً خلافات واسعة وتُحفر هوّة تزداد اتساعاً مع الايام، بحسب النواميس عينها

٠٢ كل من الكنيستين يؤكد ان الاتحاد — او اعادة الاتحاد — لا يمكن ان يتم الا اذا كانت الوحدة في التعليم مطلقة، بحسب تمام رغائب يسوع المسيح عند انشائه كنيسته

٠٣ بيد ان ما في كلتا الكنيستين من التشابه والتوافق حول معرفة مشيئة يسوع المسيح والرغبة في اتمامها، يقضي عليهما، بقوة ما فيهما من الروح الفائقة الطبيعة، بان تحققا ما هو في نظرهما كليهما المشيئة الاولى ليسوع المسيح: الوحدة التامة في الايمان، والسلطة، والمحبة

٠٤ وعليه، فلا يسع الكاثوليك ولا الارثوذكس ان يستسلموا لقضاء بالانفصال يعدونه مبرماً لا مرد عليه؛ وباسم الايمان الذي يتشرفون بالانتماء اليه لا يسعهم الا ان يحزنوا لهذا الانفصال، ويشتاقوا الى الاتحاد، ويعملوا لتحقيقه بحسب ترتيبات العناية الالهية. وذلك محتوم عليهم باسم الحق... والمحبة... ووحدة المسيح... وجميع المصالح المتعلقة بهذه الوحدة، وبصرف النظر عن كل اعتبار بشري

٠٥ فان انفصال الشرق والغرب، والانفصالات الغربية في القرن السادس عشر، هي اهانة دائمة تطعن كنيسة المسيح الجامعة في الصميم

ورب قائل: ان من ينظر الى خريطة الكرة الارضية يرى ان الشعوب اللاتينية هي كاثوليكية، والشعوب السلافية ارثوذكسية، والشعوب الانجلوسكسونية بروتستانية، والشعوب السامية مسلمة، وشعوب الشرق الاقصى لها دينها الاسيوي . فكل منها يريد ان يكون لله وللمسيح وللكنيسة، ولكن وفقاً لطبيعته الشعبية الخاصة، وكل منها يتبع في ذلك طبيعة ارومته وجنسه الخاص

أجل هذا الاعتراض لا يخلو من ظاهر الحقيقة اذا نظرنا الى الخريطة الارضية .

على ان الدين الفائق الطبيعة لا يتقيّد بالفوارق الشعبية او القومية . بل هو ما شاء المسيح مؤسسه ان يكون، بحسب نواميس العناية الالهية، ووفقاً لها . لكننا نجهلها «الى ان نصل جميعاً الى وحدة الايمان ومعرفة ابن الله، الى انسان كامل، الى مقدار قامة ملء المسيح» (افسس ٤ : ١٣)

٦ . ان حوادث العالم الحالي هي في جملتها تعبير عن الطبيعة البشرية كلها . لكن هذه الطبيعة لن تصير جامعة شاملة الا متى لبست المسيح . فاذا كان المسيح قد تجزّأ وانقسم فيجب ازالة الانقسام . ذلك واجب لا مناص منه، لا بدّ من اتمامه أيّاً كانت العوائق التي تحول دونه

١١ـ ماذا بين الكنيسة الرومانية والجماعات الدينية غير الكنيسة الارثوذكسية ؟

١ . ان الحالة الدينية بين الكنيسة الرومانية وسائر الكنائس الشرقية (الكلدانية والارمنية واليعقوبية) تقرب كثيراً من حالتها مع الكنيسة الارثوذكسية، مع هذا الفرق ان التعاليم التي دعت الى انفصال هذه الكنائس عن الكنيسة الجامعة قد حرمتها المجامع

ا – فالكنيسة الكلدانية النسطورية، المعارضة لمجمع افسس (٤٣١) الذي حرم نسطوريوس، تعترف بوجود اقنومين في طبيعتي يسوع المسيح

ب – والكنيستان اليعقوبية والقبطية، المعارضتان لمجمع خلقيدونية (٤٥١) الذي حرم اوطيخا، تعترفان بطبيعة واحدة واقنوم واحد في يسوع المسيح

ج – والكنيسة الارمنية المعارضة للمجمع الخلقيدوني بحسب البعض، وبحسب فريق آخر للقسطنطيني الثاني (٦٨٠ – ٦٨١) الذي حرم تبّاع المشيئة الواحدة، تعترف بمشيئة واحدة وقوة عاملة واحدة في يسوع المسيح

على اننا اذا استطعنا ان ننعت هذه الكنائس بهرطوقية من حيث انها تعارض تعاليم احد المجامع المسكونية، فهي في الواقع ليست هرطوقية الّا ماديًا فقط، بمعنى ان تعليمها، الذي يخالف التقليد من حيث العبارة، لا يخالفه من حيث المعنى ما دامت تعترف كلها بأن يسوع المسيح هو معاً اله حق وانسان حق

٢ . فعلى كل مسيحي اذن ان يحترم هذه الكنائس احتراماً عظيماً ممزوجاً بالمودّة والمحبة، لكونها ظلّت امينة في الاعتراف بالمسيح، في احوال وظروف تاريخية كثيراً ما كانت مؤلمة جداً. وجلّ مُنانا ان تضع هذه الكنائس حداً لعزلتها وتعود فتحتلّ من جديد مقامها في الكنيسة الجامعة

٣ . أمّا الحالة الدينية بين الكنيسة الرومانية ومختلف الشيَع البروتستانية، فهي على خلاف ما ذكرنا . فان هذه الشيَع هي وليدة انفصال تعليمي ونظامي صريح مرق به منشئوها من الكنيسة الرومانية . وهذا الانفصال قد حفر بينها وبين سائر الكنائس الشرقية غير المتحدة مع رومة هوّة في العقيدة والنظام في جميع نواحي الحياة

٤ . وقد سبقنا فقلنا ان كلامنا في هذه النبذة محصور ضمن نطاق الكنيستين الرومانية والارثوذكسية

١٢ ــ المبادئ لحل معضلة الاتحاد بين الكنيستين الرومانية والارثوذكسية

١ . نقتبس هذه المبادئ من تعليم بعض اشخاص لهم مكانتهم في كلا الفريقين

ا - تعليم الارثوذكس

١ - ففي الكنيسة الارثوذكسية نسمع الاسقف الروسي تيخن يجهر بأعلى صوته : «كان العالم المسيحي متحداً في العصور السالفة . فاتحاده الروحي من جديد ممكن اذن، على اساس مبادئ الوحدة السالفة» مع مراعاة التغييرات التي تقتضيها تطورات التاريخ . فلتجديد تلك الوحدة القديمة يجب درسها في ذاتها، وفي تعاليم الآباء اللاهوتية، وفي الليتورجيا وفي التاريخ . فالحقبة التي لمع فيها آباء الكنيسة ومنها نشأت الروح البندكتية، حقبة مشتركة بين الشرق والغرب . فيحسن اذن اتخاذها كأساس للتقارب بين الفريقين »

٢ - وهوذا الآن صوت المندوبين الارثوذكس في المؤتمر المسكوني الملتئم في ادمبره واكسفورد سنة ١٩٣٧ : «نحن موقنون تمام اليقين ان تعليم العقائد الخاص « بالكنيسة » القديمة، كما نجده في الكتب المقدسة وقانون الايمان واعلانات المجامع المسكونية وفي حياة الكنيسة كلها قبل الانفصال ، هو وحده قادر ان يحمل اساساً راهناً لحل المعضلات العقائدية واللاهوتية ... ولعل اتحاد جميع الكنائس المسيحية يعجل كثيراً اذا شرعت واتحدت اولاً الكنائس الشديدة التشابه فيما بينها»

ب - تعليم الكاثوليك

نجد ملخص هذا التعليم في ما اعلنه البابا بيوس الحادي عشر في مجمع الكرادلة الملتئم في ٢٤ ك ١ سنة ١٩٢٤ . قال، رحمه الله :

«لكي تكلل ببعض النجاح مساعي الاتحاد بالكنيسة الرومانية، من الواضح انه يجب من جهة ، العدول عن الاضاليل والافكار الكاذبة التي شاعت على مدى الاجيال حول تعاليم ونظامات الكنيسة الشرقية ؛ ومن جهة اخرى لا بد من الاجتهاد باعتناء جدي للبحث عن اتفاق آباء الكنيستين الشرقية والغربية حول الايمان الواحد ؛ واخيراً يجب المبادرة الى تبادل الآراء بين الفريقين بروح المحبة الاخوية الحقة »

ونجد مثل هذه الافكار في عبارة للبابا بيوس الثاني عشر سوف نوردها قريباً

٢. فينتج مما تقدم ان شروط الاتحاد هي هذه :

١ – تهيئة العقول والقلوب بتقارب متبادل بين الكاثوليك والارثوذكس

٢ – جعل هذا التقارب في جوّ مشبع من روح المحبة الخالصة

٣ – اتباع اسلوب خاص في البحث عن التعاليم السابقة للانفصال . وهو الرجوع الى حقبة القرون العشرة المشتركة بين الفريقين

٣. ذلك ما دعوناه تقارباً نفسياً بروح اتحادية محضة

٤. وهذا التقارب، بمثل هذا الروح، لاجل هذه الغاية، يقتضي ان يعمل المتقاربون في حقل واحد هو الحقل الشرقي. وهذا الاسلوب انما هو الموافقة بين الغاية والوسيلة التي تفضي اليها

١٣ ـ الغاية القريبة لعمل الرسالة الاتحادي : التقارب النفسي السكولوجي

١. ليست هذه الغاية القريبة الاتحاد. فان الآراء مجمعة على ان العقول والقلوب لم تتهيأ بعد للاتحاد حالاً، لا في الشرق ولا في الغرب. ومثل هذا الاتحاد لا يمكن ان يتحقق بدون استعداد تام

٢. من الواضح ايضاً ان الاتحاد يجب ان يبقى الغاية البعيدة المنشودة، على حسب المآرب الالهية الحقة. على انه لا يمكن ان يكون الا عمل الروح القدس، المحفوظ للساعة التي حددتها العناية الالهية

٣. على ان نواميس العناية الالهية عينها، في الحقلين الطبيعي والفائق الطبيعة، تقتضي ان تشترك المشيئات البشرية ايضاً في تحقيق المآرب الالهية في العالم. فالمثل العامي يقول : يجب ان تساعد نفسك

اذا اردت ان تساعدك السماء. وهذه الحكمة الشعبية ليست سوى صدى الحكمة الازلية

٤. فعلى الذين يرومون الاتحاد اذن ان يشرعوا فيتقاربوا. والاتحاد المنشود لا يمكن ان يكون عمل القادة والرؤساء فقط، ولا عمل الكنيسة والدولة. والتاريخ يثبت ان كل اتحاد تمّ على هذا النحو في الماضي لم يثبت او لم يتحقق في الواقع لأن الشعب لم يتهيأ له. وفي عصرنا الحاضر لا سبيل ان نعدّي عن جمهور المؤمنين وان لا نحسب لهم حساباً في أيّ حقلٍ كان، وعلى الخصوص في الحقل الديني. فيجب اذن ان ننظر قبل كل شيء الى اعداد الشعب لفكرة الاتحاد: الشعب الكاثوليكي، ولاسيما في بلاد مشتركة بين الفريقين، والشعب الارثوذكسي، ليدرك الفريقان تماماً كل ما تحويه هذه الفكرة من عناصر مترابطة ومتشعبة

٥. ويجب ان يكون هذا التقارب نفسياً، سيكولوجياً، يمسّ كل ما يؤلّف شخصية الانسان: اي القوى العقلية المدركة، والقوى العاطفية الشاعرة، والقوى الادبية الحرة، وعوائد التفكير والشعور والعمل، في جميع اطراف الحقل العلمي في الانسان. ولا يعزُبنّ عن البال ان هذه كلها متضامنة متشابكة في الانسان، لان شخصيته واحدة مهما تعدّدت مرافقها وعناصرها

١٤ ـ الوجهات المختلفة لهذا التقارب النفسي

نقتطف هذه الافكار من وثائق كنسية مختلفة ومتعدّدة،

ونبسطها كما وردت في أصولها العديدة، من غير ما ترتيب، تاركين للقارئ ان ينعم النظر في تفاصيلها ويستنتج لنفسه ولغيره ما يجب تحقيقه في سبيل هذا التقارب، وهو :

١ – ازالة الموانع والعراقيل للاتحاد ... التعارف والتحابّ ... تبديد الاوهام السابقة المتبادلة ... والاضاليل ... وسوء الفهم ...

٢ – تبادل الآراء الوديّ ... درس التاريخ القديم المشترك بين الفريقين، درساً لا تمازجه مرارة، ولا تأثم، ولا تذمر، ولا سعي لمنفعة ارضية

٣ – البحث وتبادل الافكار في جوّ مشبع بروح الاتضاع والمحبة المسيحية، برغبة خالصة في السلام وبمحبة حارة للعمل الخالد الناشئ عن حب الله قد صلى لاجل اتباعه وسأل ان يكونوا بأجمعهم واحداً فيه، وختم تلك الوحدة بدمه الكريم...

٤ – معرفة دقيقة لجميع المسائل المتعلقة بالاتحاد . فان هذه المعرفة وحدها تستطيع ان تنشئ الاعتبار المتبادل والمودة الخالصة . وهذان، متى اضيفت اليهما محبة المسيح، لا بدّ ان يعملا معها بنعمة الله عمل المصالحة في الوحدة الدينية ...

٥ – اهمال وجهات النظر الملتوية الحائدة عن الحق والصواب ... وتبادل الافكار بروح المحبة المسيحية ...

٦ – تحقيق التعاون الاخوي المتبادل في كلّ ما يتعلق بالحياة المسيحية ... انشاء جوّ مؤاتٍ للتفاهم والاعتبار المتبادل

٧ – تمهيد السبل، وازالة الانقاض، ومدّ الجسور، وبناء المعدّات الفنية، وشق الطرق السهلة والمواصلة المفضية الى الاتحاد ...

حتى، متى دقّت ساعة العناية الالهية، لا تعرقل الموانع البشرية المآرب الالهية

هذه كلها تُلخَّص بكلمة واحدة سميناها «التقارب النفسي السكولوجي»، لتحقيق روح واحدة مشتركة هي روح الاتحاد

١٥ ــ احد مقتضيات التقارب النفسي : العمل في الحقل الشرقي

١ . ان الشعوب المسيحية الشرقية تحيا منذ البدء حياة كنسية خاصة بها، تتألف من ليتورجيا وانظمة وطقوس وعبادات خاصة، تستوحيها من طابعها واخلاقها الخاصة، جارية في ذلك كله على حسب ما اوحت به اليها التعاليم النظرية والأدبية والروحية الواصلة اليها من التقليد الرسولي. فهل غيّرت وأفسدت قرون الانفصال الطويلة شيئاً من هذا التعليم التقليدي ؟ ليس هنالك سوى تغييرات عرضية، والكاثوليك ذوو الطقوس الشرقية لا يزالون يمارسون بتدقيق طقوس كنيستهم أسوةً بالمسيحيين غير المتحدين بالكثلكة من ذوي الطقوس عينها

٢ . ان الشعوب الشرقية التابعة للطقس البيزنطي، التي يدور كلامنا عليها خصوصاً، شديدة التمسك بكل ما يكوّن الطقس والعبادة المحسوسة الخاصة بهم، لان هذا الطقس في نظرهم يجسّم الدين المسيحي نفسه

فيحقّ لهم اذن ان تُحترم طقوسهم وتُعتبر الاعتبار اللائق بها عند جميع الكاثوليك في العالم كله. وذلك باسم ارتقاء هذه الطقوس الى سيدنا يسوع المسيح الذي لم يحدّد في الواقع الّا العناصر الجوهرية للأسرار؛ وباسم الكنيسة التي عاشت على هذا النحو منذ البدء؛ وباسم القبول الذي حازته هذه الطقوس في الكنيسة الجامعة، والذي أعلنته لجميع الكاثوليك قرارات مجامع مسكونية، كمجمعي

ليون وفلورنسا، وردّدته مراراً ورسمياً أقوال احبار رومة الاعظمين

٣ . يشهد التاريخ بالمقام الخطير الذي احرزته الاعتبارات الليتورجية والنظامية في العلاقات الدينية بين الشرق والغرب . ويعرف الجميع ان حوادث سنة ١٠٥٤ المشؤومة قد نشأت على أثر جدال غير مؤاتٍ حول هذا الموضوع، فكان لها اوخم العواقب واسوأ الآثار في الدين المسيحي

٤ . ان التطوّر الكنسي في الغرب قد حقق وحدة تكاد تكون مطلقة بممارسة الطقس اللاتيني والنظامات المتعلّقة به . وتاريخ العلاقات بين الشرق والغرب ينبئنا بأن المسيحيين في هذين القطرين كثيراً ما حكموا بعضهم على بعض من حيث الارثوذكسية واستقامة الرأي، مستندين على هذه الطقوس، وجاعلين فريقاً منها أسمى من الآخر، ومن ثمّ فريقاً منهم فوق الفريق الثاني

٥ . ولا بدّ ان يُلفت النظر هنا الى فكرةٍ لها أهميتها الرئيسية من الوجهة الرعائية العملية : ان الكنائس الشرقية ليست « كنائس رسالات » بالمعنى المعروف في الشرع الكنسي، بل كنائس لها شرعها ونظامها الخاصّ . فالكنيسة المعتبرة من الرسالات هي كنيسة حديثة النشأة والعهد، لم تُقم عليها سلطة منظمة من عناصر وطنية، بل سلطة « مُرسلة » الى ان يكمل نموّها ويوليها الحقّ بأن تتولّى شؤونها هي بنفسها، على الأقل في العناصر الجوهرية . والحال ان الكنائس الشرقية قد نشأت ونُظمت منذ عهد الرسل، وقد ثبتت فيها السلطة التقليدية، بالرغم من احوال عسرة جعل ثباتها جزيل الصعوبة .

فهي اذن كنائس محليّة، أصلية؛ وقد أصبحت بدورها منائر طبيعية وفائقة الطبيعة، شع منها الاسم المسيحي لا على مؤمنيها فحسب بل على غيرها من غير الكاثوليك وغير المسيحيين ايضاً

بيد ان الاحوال الاجتماعية التي تطوّرت فيها حياتها التاريخية، في ظلّ السيطرة الاسلامية، قد اضعفتها كثيراً في كيانها الخاصّ وفي قوة اشعاعها بين الشعوب غير المسيحية المحيطة بها. لذلك هي الآن بحاجة الى مساعدة أخوية تأتيها من كنائس أخرى أوفر منها حظاً. على ان هذه المساعدة لا بدّ ان تأول الى تقوية كيان تلك الكنائس المحلية واسنادها لتؤدي رسالتها الفائقة الطبيعة في البلاد التي هي بلادها

وهذه المساعدة الاخوية توفّرت لها، وخصوصاً من قبل الكنائس الغربية التي بسطت على الشرق غناها الأدبي من حيث الغيرة والتنظيم وكنوزها المادية ايضاً

فالماضي كفيل المستقبل. والكنائس الشرقية تعرف تمام المعرفة انها تستطيع ان تستند دوماً الى مساعدة الكنائس الغربية الاخوية. والعصر الجديد الذي تهبّ رياحه الآن على شعوب الشرق الادنى، مع كل ما يُنتظر منه من الخير، يقتضي تعاوناً اوثق بروح التوافق والتفاهم الذي انما هو شريعة جوهرية من شرائع العمل الرعائي

٦. لقد شاع في العالم الارثوذكسي الاعتراض القائل ان الكنيسة الرومانية بصوت مسلّطيها الرسمي تفرض القواعد والطرائق الحكيمة، لكنّ ممثليها في الشرق لا يأتمرون بها او يحيدون عنها بلباقة

اجل، هي أخلال وأغلاط عملية لا تخشى الوثائق الرومانيـة الصادرة من الرؤساء ان تلفت اليها النظر والانتباه. ومن واجبات العمل الرعائي الكاثوليكي ان لا يستهدف لمثل هذا الاعتراض. فعليه ان يلبس لبوساً شرقياً في نظرياته وتطبيقاته العملية، كما تقتضيه الدواعي الطبيعية والفائقة الطبيعة، وهي دواعي مشتركة بين الشرق والغرب

٧. وهوذا الآن بعض تدابير وارشادات حديثة العهد تُلخص ما نعدّه من مقتضيات «التقارب» الذي يدور كلامنا عليـه. نبسطها، غير غافلين عن ان للاحوال العمليـة تشعبات وتعقيدات تنشأ عنها صعوبات لا تقوى أزه النيات والرغائب على التغلّب عليها

١ - لقد اصبحت شهيرة شبيهة بالمثل السائر اقوال البابا بندكتس الخامس عشر القائل: «ان كنيسة المسيح ليست لاتينية ولا يونانية ولا سلافية، بـل هي جامعة. وجميع ابنائها متساوون تجاهها، سواء كانوا لاتين، ام بيزنطيين ام صقالبة ام من امة اخرى. ولهم جميعاً المقام الواحد في نظر الكرسي الرسولي»

٢ - ويبدو لنا ان البابا الحالي المالك سعيداً يوضح ببيان اجلى الميزة التي تجعل الكنيسة جامعة شاملة. فقد اصدر بهذا الشأن وثيقتين حديثتي العهد تعلنان بأقوال جريئة شديدة ما هي افكار الاحبار الرومانيين الدائمة في هذا الموضوع الخطير

فالوثيقة الاولى هي البراءة التي اصدرها بداعي التذكار المئوي الخامس عشر لوفاة القديس كيرلس الاسكندري (٤٣٤ - ١٩٤٤). قال فيها: «يجب ان تحاط بكل ما يحق لها مـن الاعتبار تلك التقاليد الشرقية التي اتصلت بالشرقيين من اجدادهم كإرث خاص، وهي المتعلقة بالليتورجيا واصحاب السلطة، و كل مـا يرجع الى المظاهر الاخرى للحياة المسيحية، بشرط ان تكون متفقة مـع العقائد

الدينية الصحيحة وقوانين الآداب المستقيمة . ولا بدّ ايضاً من ان الطوائف الشرقية وكل واحدة منها تتمتع بحرية شرعية في كل ما يرجع الى تاريخها وميولها وميزاتها الخاصة، بشرط ألّا يكون فيها ما يناقض كمال تعاليم المسيح الحقيقية . فليعلم ذلك جيداً وينعم النظر فيه الذين ولدوا في احضان الكنيسة والذين يتوقون اليها بالارادة والرغبة . وليعرفوا كلهم ويعتقدوا انهم لن يُجبروا ابداً على استبدال طقوسهم الشرعية الخاصة وعوائدهم القديمة بما في الكنيسة اللاتينية من طقوس وعوائد . هذه وتلك يحق لها اعتبار متساوٍ واكرام كامل، لانها تحوّط الكنيسة ام الجميع بهالة متنوعة من الانوار الملوكية . وعلاوة على ذلك فان اختلاف الطقوس هذا واختلاف العوائد مع حفظ ما هو لكل احد قديم وثمين لا يناقض بوجه من الوجوه الوحدة الحقيقية الخالية من الشوائب . وفي وقتنا اكثر من كل زمان، حيث الانقسامات وعداوات الحرب ابعدت الناس بعضهم عن بعض في كل مكان، لا بدّ ان تحرّك الجميع، المحبة المسيحية، فينشطوا بكل ما لديهم من الوسائل لارجاع الوحدة في المسيح وبواسطة المسيح »

الوثيقة الثانية التابعة لهذه تسنّ القواعد الرعائية الصريحة، وهي منشور من المجمع الشرقي المقدس الى رؤساء الرهبانيات اللاتينية التي تعمل في الشرق سنة ١٩٤٥ . فنقتطف منها الفقر التالية :

« اذا ذكر المرسلون ان عملهم الرسولي يمارَس في بلاد شرقية ولمنفعة الشعوب الشرقية، يتضح لهم ان هذا العمل الرسولي لا يكون خصيباً مثمراً الّا اذا حسبوا حساباً لمقتضيات المكان واللغة والطقس، ووفّقوا بين عملهم هذا وحالة الشعب المحلّي الفكرية والنفسية ومطالبه العادلة . فكما انه لا بدّ لمن يعمل في بلاد لاتينية ان يعرف الطقس اللاتيني ويحبه ويفهم العقلية اللاتينية ويجاريها، كذلك يجب السلوك في بلاد شرقية بمجاراة العقلية الشرقية

فهذه الطريقة كثيرون لا يفهمونها ولا يدركون اهميتها العملية، ومن ثمّ لا يسلكون بموجبها . بل بعكس ذلك يجرون بخلاف ما تقتضي، بنية سليمة تريد الخير وتأمل ان يتمّ؛ لكنه في الواقع لا يتمّ منه شيء البتة

فالمجمع الشرقي يكون لكم شاكراً اذا حرضتم اخوتكم القاطنين في الشرق والعاملين فيه على ان يتقربوا اكثر فأكثر من المؤمنين الشرقيين، وان يعدّوا معرفة الطقس الشرقي ومحبته وممارسته، اذا كانت ممكنة، كوسيلة حقيقية وفعّالة لعمل الرسالة في الشرق

واذا كان تعليم الطقس اللاتيني بطريقة عادية مطّردة من واجبات المرسلين نحو المؤمنين اللاتين، فمن العدل والحق والواجب ان يعلّم الشبان ذوو الطقس الشرقي طقوسهم الخاصة، سواء كانوا من الكاثوليك ام لا

وبهذا الشأن يجب التذكر ان براءة البابا لاون الثالث عشر التي مطلعها Orientalium dignitas قد سنّت قواعد واضحة ودقيقة . فهذه القواعد لا تزال نافذة حتى اليوم لأنها لم تُلغَ البتة . فيوافق ويليق ان يستوحيها المرسلون ويجروا بموجبها . والمجمع المقدس يحضكم على ذلك بشدة، لان الاحدى والخمسين سنة التي مرّت على صدورها قد بيّنت ما في ارشاداتها من الحكمة البليغة واثبتت ملاءمتها وموافقتها لمقتضى الاحوال »

٨ . نستطيع ان نقول اذن : ان المسألة مقضيّة ومُنهاة : يجب العمل بموجب الوجهة الشرقية

١٦ ــ ما هي روح الاتحاد

هي مجموعة استعدادات نفسية، طبيعية وفائقة الطبيعة، لا بدّ منها على وجه الاطلاق لمعالجة معضلة الاتحاد، واليها تصبو كل رسالة في سبيل الاتحاد . وتلخّص بكلمتين : حقيقة، ومحبة، في تمازج عملي وائتلاف لا يقوى عليهما شيء، كما سنبيّن ذلك في ما بعد

١ – واولها عقيدة راسخة بشأن المبادئ الاساسية التي بسطناها آنفاً، القادرة وحدها ان تنشئ روح الاتحاد

٢ — ثم ادراك واسع لمعضلة الاتحاد، مقرون بالصدق والمودة والمحبة العملية

٣ — روح مسيحية — كاملة — لا يمازجها شيء يضادها تبقى سائدة على الاعتبارات الجغرافية والتاريخية والعنصرية والقومية والشعبية : روح جامعة، شاملة، لان الكنيسة مؤسسة جامعة

٤ — تحديد الوسائل المناسبة ووضعها موضع العمل

٥ — بروح المحبة المسيحية، على حسب تعاليم القديس بولس، وروح التعاون المتبادل في كل ما يتعلق بمصالح الدين المسيحي والحياة المسيحية

٦ — بروح الاحترام المتبادل لكل ما في الكنيستين من العناصر الالهية الحقة

٧ — نفي كل سعي لاستجلاب فريق الى الجهة الاخرى، بدون الحاق ضرر بحقوق الضمير الفردي، وهذه الحقوق تعترف بها كلتا الكنيستين

٨ — طلب كل ما من شأنه ان يجمع، وتجنب كل ما من شأنه ان يفرق ضمن نطاق الحقيقة الالهية الكاملة

٩ — السير على منهاج اتحادي يستند الى تعليم موافق لكلا اللاهوتين الكاثوليكي والارثوذكسي، ولا يميل في حل المعضلة الى منفعة احد الفريقين، بل يُبنى على استقامة النية والثقة المتبادلة ضمن نطاق الروح المسيحية

١٧ — طريقة البحث التعليمي — اتساع نطاقها — مقتضياتها

١ . قلنا اننا نروم تقارباً تاماً، بمضمونه المتشعب في الحقل العقلي والعاطفي والادبي والاجتماعي والفني والعنصري والقومي والطقسي والثقافي الخ

٢ . فالوجهة العقلية لها اهميتها الاولى، لان التقارب بين الفريقين

لا يمكن ان يتمّ الا بموجب الحقيقة. على ان البحث عن هـذه الحقيقة يجب من باب الضرورة ان يتمّ بحسب مطالب المحبة التي لا يمكن فصلها عن الحقيقة. ولواجب المحبة هذا وجوه عديدة تلخصها كلمة المحبة. فيجب ان نفصّل بعض هذه الوجوه العقلية التي تفرضها المحبة

٣. فمن الوجه اللاهوتي نروم كلنا صيانة الحقيقة والتعاليم الالهية بكاملها. ومن ثمّ:

١ – سنبسط نحن الكاثوليك التعاليم الكاثوليكية كما هي بدقة. وهكذا يزول ويتبدّد كثير من الاوهام والاحكام السابقة وسوء الفهم والاعتراضات

٢ – سنجتهد ايضاً لنظهر الكنيسة الرومانية في وجهها الحقيقي. فلا نظهرها كمذهب محصور ضمن دائرة خاصة، بل ككنيسة جامعة حقاً، قادرة على فهم وقبول جميع المعضلات والحاجات والمطالب والضرورات، تترفع فوق العنصرية والقومية والعقليات الخاصة والهيئات السياسية وكل ما تتكوّن منه ميزات شعب خاص في اي منطقة كانت من كرتنا الارضية

٣ – ظلّ التعليم اللاهوتي مشتركاً بين الفريقين مدة قرون عديدة. فالفريقان يعتبران خاصاً بكل منهما التراث الواحد الذي خلّفته حياة كنسية مشتركة مع كل ما تحويه من كنوز. على انها، منذ الانفصال، قد عاشت كل من الكنيستين عيشتها الخاصة في حقلين متميزين، منفصلين، تفصل بينهما كومة المعاكسات البشرية في جميع نواحي الحياة. فنشأ عن تلك الحياة المنفصلة في جميع النواحي ايضاً اختلاف في الافكار والآراء والعواطف والحياة الدينية والاجتماعية والثقافية، ونجم عن ذلـك كله ما نتألم منه الآن من سوء التفاهم بل من عدم التفاهم. ففي هذه الحال المعقّدة يكون مهماً جداً ان يُفصل بين ما هو الهي او بشري، وجوهري او عرضي، وما يجب ان يُعزى الى الشرق او الى الغرب، وبين الاوهام الماضية والحاضرة، وقد تكون مختلفة

٤ . كذلك الابحاث التاريخية من اهم العناصر المفيدة لتوضيح المشاكل :

١ — فان العلاقات التاريخية بين الشرق والغرب هي احداث بشرية . فيجب ان تدرك قبل كل شيء في تفاصيلها التاريخية الدقيقة : فتُبحث الحوادث نفسها بدقة، وتوسع دائرة الاطلاع وتستقى بنزاهة من اصفى مصادرها ومناهلها، وتوزن هذه الحوادث بميزان التجرد والنزاهة، ويُلزم جانب المنطق في تمييز العلل المسببة للحوادث او التي تفسر وقوعها

٢ — ولا بدّ مع ذلك ان يمازج ذلك كله اضاليل واوهام واحكام سابقة وكل ما هو بشري، فيجب ان لا يُستغرب وجود ذلك

٣ — ويجب خصوصاً اعادة النظر في علل الحوادث التاريخية واسبابها على نور تقدم العلوم وتطوّر الافكار . فقد أبرزت في الماضي ابرازاً زائداً بعض اعتبارات ليس فيها شيء من قوّة «العلة والسبب» ؛ وأهملت او جُهلت علل اخرى حقيقية يجب الآن اظهارها بطريقة بارزة للعيان ؛ وكان لبعض الاسباب والعلل اهمية في الماضي وتأثير في الحوادث قد فقدتها الآن، فيجب ازالتها من بين العلل والاسباب

٥ . وهنالك من الوجهة التاريخية بعض اعادات النظر يفرضها الوجدان من باب العدل اكثر مما من باب المحبة . فان بعض المسائل الرئيسية من علاقات الشرق مع الغرب قد بُسطت في الماضي بطريقة أدت الى توتير العلائق بين الفريقين ولا تزال تعمل على توتيرها . فاذا عولجت هذه المسائل من جديد على نور علم التاريخ العصري الحديث، فلا تلبث ان تظهر بمظهر آخر يختلف تماماً عن المظهر الذي اظهرتها به مباحث علماء الغرب . فمن ذلك :

١) وجوب اعادة النظر بانتباه في تاريخ الحياة المشتركة مدة عشرة قرون ؛

وفي حالة الكنيسة كما كانت بُعيد اعلان مرسوم ميلانو ؛ وفي انقسام الامبراطورية الرومانية الواحدة الى شطرين من الوجه السياسي : امبراطورية الشرق وامبراطورية الغرب ؛ وفي التغييرات التي جرت في الغرب منذ القرن الخامس بهجوم البرابرة، مما ادّى الى تدخل الاحبار الرومانيين في الشؤون السياسية ؛ وفي مدى تلك الامبراطورية الغربية ؛ وفي حالة الغرب في القرون التابعة ومقابلة تلك الحالة بحالة الشرق

٢ — فمن مراعاة تلك الامور كلها يتضح ان مسألتين خصوصاً قد افسدتا حقاً العلاقات الروحية بين الشرق والغرب : مسألة فوتيوس ومسألة ميخائيل كرولاريوس، فضلاً عن مسألة الحروب الصليبية . في المسألتين الاوليين على وجه الخصوص يظهر ان على الغرب ان يغيّر ويجدد معلوماته، وذلك من باب العدل والحق تجاه التاريخ والعمل الرعائي . وفي الواقع نرى ان هذا التجديد والتغيير يتمّ رويداً، كما تشهد بذلك المنشورات الدينية العصرية، اي القواميس الكبرى المختلفة وكتب التاريخ الكنسي الجديدة، والمنشورات الخاصة التي سبقتها، بقلم الاب دڤرنك ومنشئي مجلة «اصداء الشرق» بشأن فوتيوس وميخائيل كرولاريوس

فمن ذلك ما نشرته مجلة «الحياة العقلية» في جزء ك١ سنة ١٩٤٥، بتوقيع الاب دڤرنك، تحت عنوان : هل يُعدّ البطريرك فوتيوس أباً للانشقاق ام رسولاً للاتحاد ؟ — او ما نشره في رومة عينها حضرة الاب هرمَن رئيس المعهد الحبري الشرقي سنة ١٩٤٠ : العلّة التاريخية لانفصال الكنيسة اليونانية، وفقاً للابحاث الحديثة

٣ — ويجب ايضاً اعادة النظر في نواحٍ عديدة من الحقبة التاريخية التابعة لسنة ١٠٥٤ حتى الاعصر الحديثة . والجو الذي خلقته الحركة المسكونية المسيحية اليوم من شأنه ان يساعد على ادراك حوادث الماضي على نور «الحركة المسكونية»، وخصوصاً الحوادث الآتية :

كيف دخلت سائر الكنائس المسيحية في حالة الانفصال ؛

حقبة الحروب الصليبية، وهي حقبة دقيقة ؛

الاحوال التي نشأت فيها الجدالات العقائدية بين الشرق والغرب، والغاية الدقيقة منها

المساعي المتواصلة لتصالح واتحـاد الكنيستين ، وخصوصاً في ليون (١٢٧٤) و فلورنسا (١٤٣٩) ؛

تأثير النفوذ العثماني في انفصال الشرق عن الغرب من بعد سقوط امبراطورية الشرق (١٤٥٣)

التعاليم الروحية الغربية والحركة الفلسفية في الغرب

تأثير التعاليم البروتستانية وتعاليم المجمع التريدنتيني في نمـو وتطوّر وتنظيم الكنيسة الغربية

حوادث تاريخ الكنيسة الروسية

المسألة الشرقية في الاعصر الحديثة الخ . الخ .

وهكذا يظهر ان مسألتي فوتيوس وكرولاريوس هما من اهم المسائل الواجب اعادة النظر فيها، لكنهما ليستا المسألة الوحيدة

٦ . وان حقل الليتورجيا اي الطقوس هو من أهمّ الحقول التي يجب النظر فيها، من الوجهة العاطفية كما من وجهة الحقيقة . ولا بدّ من الاقرار بأن الاجيال الحديثة قد عدّلت من الاحكام السابقة وليّنت ما اظهر فيه السابقون كثيراً من الشدة والقساوة

١ – فان للكنائس الشرقية طقوساً وانظمة دينية تختلف عن طقوس وانظمة العالم اللاتيني . ومن حقها ان تحافظ عليها ما دامت هذه طقوسها من عهد سحيق . وقد كانت طقوسها ونظاماتها مدة قرون عديدة في عهد الوحدة . وهي في الواقع شديدة التعلق والتمسك بها

٢ – ففي هذا الحقل اذن تعاليم عقائدية وروحية مشتركة بين الفريقين

٣ – في هـذا الحقل من حياة الكنائس الشرقية الروحية، يُهمّ كثيراً ان يُفصل بين العناصر المختلفة ويعطى كلّ منها مركزه الخاص . والخبرة تبيّن انه لا بدّ للغرب ان يطرح كثيراً من الاوهام ويعدّل كثيراً من المواقف السابقة ويحل

كثيراً من الامور الغامضة. وقد أشرنا الى ذلك في الفصل الخامس عشر، الذي عنوانه: في الحقل الشرقي صفحة ٥٨ — ٦٣. وليس لبلوغ هذا الارب طريق آمن واسهل من اتباع المنهاج والارشادات الصريحة التي اوضحتها الوثائق الرسمية للكنيسة الرومانية، ففيها منهاج عمل رسولي خصيب

٧. ويبدو لنا ان حقل التعاليم الروحية من أخصب الحقول لتحقيق «روح الاتحاد»

وقد أشرنا الى ذلك في جوابنا على اعتراض احد أئمة علماء اللاهوت الروس المحدثين. فإن هذا الحقل الروحي مشترك بين الفريقين، وحيوي بما أنه مبدأ الحياة الدينية كلها. ومما لا ريب فيه ان تطور ونمو التعاليم الروحية، النظرية والعملية، بلغ شأواً بعيداً في الغرب وأثار عند الشرقيين بعض الاعتراضات على طرائق روحية خاصة تُعدّ في الشرق من ثمار الغلوّ والافراط وروح التجديد الذي لا طائل تحته. على أنه يسوغ التفكير في ان حكم المسيحيين في الشرق والغرب سوف ينظر الى هذه الشؤون التي لها علاقة وثقى بحياة النفس المسيحية نظرة واسعة، فيستوعب حقيقتها على انوار تعاليم الآباء الاقدمين ويصل هكذا الى وفاقٍ سعيد وخصيب

٨. وهنالك ايضاً حقل قانوني تحوّط فهمه وادراكه صعوبات خاصة، بسبب التطوّر الواسع الذي شمل الحق القانوني في الغرب على أثر المجمع التريدنتيني، وهو يظهر غريباً عن تطوّر الشرع وروحه في الشرق

فهذا الحقل مؤلف من اشياء وضعية تبرّرها سلطة الكنيسة الرومانية العليا وميزة الأولية التي تتمتع بها بوضع الهي. ومن جهة أخرى نرى ان الكنيسة الشرقية قد ظلّت تحيا مع الكنيسة الرومانية حياةً مشتركة مدة عشرة قرون، وكانت مع ذلك تتمتع باستقلال واسع جدّاً في كل ما يتعلق بالحياة الكنسية. ففي حالة الاستقلال هذه انقطعت العلاقات بين الكنائس الشرقية والكنائس الغربية. فتثبتت

الكنائس الشرقية في ذلك الوضع الاستقلالي، فيما كانت الكنائس الغربية توسع حقل انتشارها ونفوذها في عالم جديد وتعاني مضض أزمةٍ دينية خانقة بنشوء الشيع البروتستانية، مما لا سبيل الى مقابلته بالازمة الدينية في الشرق

فتطوّر الازمان، وضرورات الكنيسة الجامعة، وتطور الروح المسيحية والحركة المسكونية على الخصوص، لا بدَّ ان توحي، مع نعمة الروح القدس الذي هو نفس الكنيسة ومبدأ الحياة فيها، ببعض التعديلات في الاحكام القائمة حول هذه الشؤون القانونية . ففي هذا الحقل ايضاً تصحّ الكلمة الصوابية جداً التي فاه بها سيادة الاسقف الروسي تيخن : « كان العالم المسيحي متحداً في العصور السالفة . فاتحاده الروحي من جديد ممكن اذن على اساس مبادئ الوحدة السالفة، مع مراعاة التغييرات التي تقتضيها تطورات التاريخ »

٩ . ونبسط ايضاً هذه الفكرة التي تبدو لنا غير غريبة عن التقارب الذي ننزع اليه : أيُعقل ان في حضن الكنائس المنفصلة، أيّاً كانت، قيماً دينية حقيقية قادرة ان تغني كنيسة المسيح الحقيقية ؟ الجواب بالايجاب والتأكيد

١ — فإن الكنائس المنفصلة كلها قد حفظت شيئاً من الوحي الالهي . واستطاعت ان تحقق بواسطة هذا الوحي حياة دينية لها ميزتها الخاصة : اي ان حياتها المسيحية كانت حياة ايمان ومحبة وسخاء، واحياناً على جانب عظيم منها . وقد توصلت ان تنمي إنماءً مسيحياً صفاتٍ طبيعية ثمينة وترتقي بها الى درجة عالية من الازدهار . وهكذا قد ظهر نبوغ شعوبها من خلال قيمٍ سامية . فإضافة هذه الكمالات كلها الى كنيسة المسيح لا بدَّ ان يكون لها غنىً وثروة ؛ ومن منافع هذه الثروة ان تساعد على اشعاع بهاء الكنيسة الجامعة في كل مكان

٢ — يا له من حلم جميل للنفس المسيحية، ان ترى تحقيق الوحدة المسكونية الظاهرة بين جميع المسيحيين، ان ترى في الواقع تحقيق ذلك الحق الذي يرجع شرعاً

الى كنيسة المسيح ! فاننا اذا نظرنا الى خريطة العالم في خطوطها الرئيسية، كما صوّرها تاريخ النصرانية بعد عشرين قرناً، تنشأ فينا عاطفة الألم، ويشق علينا ان نرى : عالماً مركباً من العنصر اللاتيني الكاثوليكي الروماني، وعالماً من العنصر السلافي او اليوناني الارثوذكسي، وعالماً من العنصر الانجلوسكسوني البروتستاني، وعالماً من العنصر السامي الاسلامي، وعالماً من العنصر الاسيوي لم تكد تشرق عليه بعد انوار الانجيل، وعالماً من العنصر الاسود الزنجي يتفتح تفتحاً مدهشاً للنور الالهي، ولكن بعد مرور عشرين قرناً فقط، وهو على مقربة من العالم المسيحي التاريخي . فهذه المشاهد كلها تنمّ عن مآرب خفية سرية للعناية الالهية، لكنها تدل ايضاً على مسؤولية البشر عموماً والمسيحيين خصوصاً . فهنالك خطيئة الانقسام، خطيئة المسيحيين جميعاً . . . فلنتضع . . . ولنتب اليه تعالى . . . ولينشأ فينا الحنين الى الوحدة

١٠ . فماذا يجب ان يسود اذن في معضلة اتحاد الكنائس ؟

١ — يجب ان يسود لا اهتمام الافراد بحظّ كنائسهم الخاصة، بل العمل على تأمين الخير العام في كنيسة المسيح

٢ — يجب ان تسود لا عاطفة عنصرية او قومية، بل العاطفة المسيحية الصرفة التي تسمو بالانسان فوق منافع هذا العالم، وفوق الحدود الطقسية والعنصرية والقومية الخاصة، وفوق ما نجهله، وفوق احكامنا السابقة واوهامنا واحقادنا، وفوق الحواجز الفكرية والروحية، الماضية والحاضرة

٣ — فنريد بكل قوى نفسنا ان لا نكون الّا شخصاً واحداً مع المسيح يسوع صديق البشر الالهي . نحن نعلم الى اي حدّ بلغ به حبه ليحقق الوحدة الروحية بين البشر . فمن لا يكون مستعداً ان يساعد المسيح على حمل صليبه لا يستحق اسم المسيحي

فليكن كل واحد منا مسيحياً . . . ومسيحياً بكل معنى الكلمة . . . لا يمازج روحه المسيحية شيء يضادّها البتة

١٨ — طريقة البحث التعليمي : تعديل النتائج على نور العيشة المشتركة مدة عشرة قرون متوالية

٠١ انها لحقيقة واقعية ان بين الكنيستين الرومانية والارثوذكسية، بالرغم من الاشياء الكثيرة المشتركة بينهما، خلافات في العقيدة خطيرة؛ ولا تريد احدى الكنيستين، بل لا تستطيع قبل حلّ هذه الخلافات ان تتحد بالاخرى او تُعيد اتحادها بها

٠٢ والاعتبارات التاريخية واللاهوتية والرعائية التي يُبنى عليها عمل اتحادي رسولي تلجئنا الى الاستنتاج بأن هذه الخلافات انما هي نتيجة محتومة لكون الكنيستين قد عاشتا منذ الانفصال غريبتين احداهما عن الأخرى، وان المعاكسات البشرية قد زادت شقة الخلاف اتساعاً بينهما

٠٣ فينجم عن ذلك انه لا بدّ من تعديل في التعليم والنظم، يُجرى بحسب ما هو معروف عن العيشة المشتركة بين الكنيستين مدة عشرة قرون في كمال وحي يسوع المسيح. في هذا تقوم طريقة البحث التعليمي التي نشير اليها

٠٤ ومن مقتضيات ومطالب هذه الطريقة ان يُلزَم فيها منطق عقلي ومنطق نفسي سكولوجي يرجع الى هذه الامور الثلاثة :

١ — ان لا تميل النفس سلفاً في حل المعضلة بين الفريقين نحو ناحية دون اخرى

٢ — ان لا يُعاد النظر والبحث والجدال في شيء من منطوق الوحي الالهي عند احد الفريقين

٣ – ان تتولى هذه المباحث كلها نزاهة وبساطة وثقة متبادلة بالروح المسيحية

تلك هي الطريقة التاريخية التي أشرنا اليها سابقاً، وهي تاريخية ولاهوتية معاً

• ٥. وبناء على ما تقدّم، تلخّص الطريقة كما يلي :

١ – يكون للمباحث نقطة مبدئية مشتركة، هي حياة الكنيستين المشتركة مدة عشرة قرون، ضمن نطاق الوحي المسيحي الكامل الظاهر في تأسيس المسيح الكنيسة، اي منذ البدء الى انفصال سنة ١٠٥٤. فيُنظر في حياة الكنيستين التاريخية على انوار مصدرَي الوحي والايمان وعلامتَي الحق الالهي : اي الكتاب المقدس والتقليد، على ان تُدرس النصوص الكتابية وتفسَّر على نور التقليد

٢ – ويكون لتلك المباحث نقطة نهائية مشتركة ايضاً، ومحتواة ضمن النقطة المبدئية، وهي الوحدة بحسب المسيح، الغاية القصوى والمطلقة للروح المسيحية، على حسب مبادئ الوحدة السالفة مع مراعاة التغييرات التي تقتضيها تطورات التاريخ نفسها

٣ – وتكون النقطة الوسطى حالة الانفصال الحاضرة، ينظر اليها الفريقان على انوار الحق الالهي اي الوحي فقط، وعلى انوار المآرب الالهية، وبروح الاتحاد ؛ ويعالجانها بالنظر الى حياة العشرة القرون المشتركة، بحسب المبادئ التي بسطناها آنفاً، وبحسب الشرائع الطبيعية والفائقة الطبيعة التي تسوس كنيسة المسيح الالهية والبشرية معاً ، ذلك الكائن الحيّ الذي يحوي في ذاته القوّة الحيوية الكافية لنموّه التعليمي وتطوره النظامي وفقاً لمقتضيات الاحوال في جميع الازمنة، ووفقاً للرسالة الخالدة الجامعة التي تضطلع بها كنيسة المسيح ؛ ويجريان في معالجتها على حسب جميع مطالب الطريقة التاريخية التي بسطناها في الصفحات السابقة

١٩ — الوسائل الموافقة لتحقيق هذه الطريقة عملياً

١. ترجع هذه الوسائل الى الثلاث الآتية : الصلاة والسخاء

في الحياة المسيحية؛ والابحاث العلمية في المسائل والشؤون الدينية؛ والعمل الفردي كل في محيطه، والعمل الاجتماعي المشترك في كل مشروع اتحادي، على حسب مقدرة العاملين وموافقة الاحوال للعمل

٢ . **الصلاة والسخاء في الحياة المسيحية**: ذلك هو الواجب الاول والاساسي لكل من يسعى لاجل الاتحاد. وذلك:

لاكتساب روح الاتحاد الفائق الطبيعة وانمائه وتقويته؛ ولنيل النعم الالهية وتأثير الغيرة في النفوس؛ ولحفظ الجو الفائق الطبيعة الذي نريد ان نعمل فيه؛ ولاشعاع القدوة الصالحة

٣ . ومن الواضح ان **للابحاث والدروس الدينية** على اختلاف وجوهها مقاماً خطيراً في تمهيد السبيل الى الاتحاد. فعلى دعاة الاتحاد:

ان يجدّدوا معارفهم العامة للتعاليم المسيحية

وان يتعمقوا على الخصوص بالاكثر في معرفة كل ما ذكرناه او اشرنا اليه آنفاً، مما يتعلّق بالاتحاد؛ ليدركوا جيداً الحقائق التي يدور حولها الجدال، سواء كان من جهة الفريق الكاثوليكي ام من جهة الفريق الارثوذكسي؛ وليتمكنوا من التحدث عنها تحدّث العارف بها؛ اذ ما من شيء ادعى الى السلام يليّن القلوب المتنافرة اكثر من هذه المعرفة الدقيقة ولا سيما المواد المتعلقة بمعضلة الاتحاد

وهنالك ايضاً معرفة علمية بحصر المعنى . فرغبتنا وامنيتنا ان نرى بعض الخبراء من دعاة الاتحاد يحرزون منها ما يساعدهم على ان يكتبوا كتابات من هذا النوع مفعمة بروح الاتحاد، تلك الروح التي تولي العلوم نفعاً وقلباً فتجعلها تؤول الى تحقيق مآرب العناية الالهية بشأن اتحاد الكنائس

٤ . **اخيراً العمل** . وهو ممارسة الغيرة على بيت الله؛ والاشتراك في العمل الكهنوتي الذي لا بدّ منه لحلول ملك الله في النفوس:

العمل الفردي في المحيط العيلي او الاجتماعي ما بين اهل الحرفة والصناعة الواحدة؛ والعمل المشترك، باشتراك الاعضاء في اشغال الفرق وفي المشاريع الاتحادية، على حسب ما تيسره الاحوال

٢٠ ــ شريعة العمل الرسولي : زهرة وثمرة الصلاة

هذه الشريعة قد وضع صورتها رجل حقق في ذاته اسمى تحقيق خلاصة متناسقة للروح الشرقية والروح الغربية، إبأن انعقاد مجمع فلورنسا، حيث كان يمثل كنيسة نيقية المتروبولية . قال :

يجب تسخير كل شيء للاتحاد . يجب ان نجرّب كل الوسائل ، ونبذل كل المساعي، ولا نوفّر غيرة ولا نية صالحة، ولا تعباً ولا عناء؛ وان نذكر خصوصاً انه لا يكفي ان نصلّي الى الله بل يجب ان نخدمه ايضاً . لا نقدر ان نأمل كل شيء من الله الرحيم، ان لم نعمل نحن شيئاً . فاننا نلغي بأيدينا مفعول صلواتنا اذا التمسنا منه ان يأتي لنصرتنا وبقينا لا نعمل شيئاً من شأنه ان يحمله على هذه المساعدة (بساريون)

٢١ ــ بين الكنيسة الكاثوليكية التابعة للطقس البيزنطي والكنيسة الارثوذكسية في البطريركيات الشرقية

١ . ان معضلة اتحاد الكنيستين الرومانية والارثوذكسية، التي نوجّه اليها نظرنا وبحثنا، معضلة شاملة لجميع البلدان التي يتّسع اليها نطاق الكنيستين الكاثوليكية والارثوذكسية . والتقارب الذي نرمي اليه انما هو تقارب الكُتل والجماعات قبل تقارب الافراد . فالعمل الاتحادي يجب ان يتمّ خصوصاً حيث كتلة كاثوليكية تعيش بين كتلة ارثوذكسية او تجاهها

ولا بدّ ان يكون هذا العمل اكثر فاعلية واقرب الى التفاهم في المناطق التي يُقصد فيها التقارب بين فريقين متقاربين تجمع بينهما حياة دينية عملية واحدة باتباعهما الطقوس الواحدة عينها

تلك هي الحالة بين كنيسة الروم الكاثوليك ذوي الطقس البيزنطي وكنيسة الروم الارثوذكس في بطريركية انطاكية والاسكندرية واورشليم

٢ . فبين الكنيستين اذن اسباب خاصة تدعو الى التقارب، وهي :

الاسباب العامة التي تقوم ضد الانقسام والانفصال بين المسيحيين عموماً

ثم زوال واضمحلال جميع اسباب الخلاف والانقسام المكانية

ثم حاجات الكنيسة في منطقة كانت في سالف العصور زاهرة بأنوار الايمان المسيحي، وموطناً شريفاً لأجداد عظام، من آباء ومعلمين وشهداء ومعترفين

ثم ما يجمع بينهما من وجوه التشابه، مما نجده بين الكنيستين الرومانية والارثوذكسية عموماً، تزيده رونقاً وبهاء وتوليه الصبغة العملية الخاصة الاعتبارات التالية :

ماضٍ تاريخي طويل مشترك، في مجد الطمأنينة والسلام كما في هالة الاضطهاد الالهية ؛

وعذابات طويلة مشتركة في سبيل غاية شريفة واحدة هي الأمانة للمسيح ؛

والاشتراك في القومية الواحدة، والبيئة الواحدة، والمصالح الواحدة، في البلاد الواحدة ؛

والاستفادة من الدروس البليغة الواحدة التي تلقيها على الفريقين عواقب انقسام المسيحيين الوخيمة ؛

وان الاحوال الحاضرة في الشرق الادنى تتيح لنا ان نفكر ان الكنيسة المسيحية، ولا نريد ان نقول الكنيسة الكاثوليكية، هي الآن في الشرق في منعطف من منعطفات تاريخها يؤدّي اماً الى نهوضها من كبوتها وثباتها ثباتاً نهائياً، واماً الى

تدهور اعظم في منحسر اللجة التي تنحدر اليها منذ الانقسامات التاريخية الاولى التي سبقت الفتح الاسلامي بقليل، وهي الآن تزداد طموّاً من حيث الاتساع المكاني والنفوذ الروحي ايضاً

٣ . فبناء على ما تقدّم بيانه، يتضح ان الحقل الحقيقي للعمل الاتحادي انما هو البيئة التي نعيش فيها والمحيط الاجتماعي الذي يحوّطنا نحن الروم الكاثوليك والروم الارثوذكس . فنحن فيما بيننا كأننا في أسرة واحدة؛ وفيما بيننا نحسن التفاهم ويسهل علينا التحابَ والتوادَ . فماضينا الطقسي الواحد، وحياتنا الطقسية الحاضرة، قد حققا وأوجدا فيما بيننا روحاً عيلياً ونفَساً عيلياً أخاذاً لم يتحقق مع سائر الطوائف الكاثوليكية . ونستطيع ان نضيف الى ذلك كله المصالح العامة المشتركة في الاوطان الجديدة المشتركة

فعلى كل واحد من ابناء طائفة الروم الكاثوليك وطائفة الروم الارثوذكس ان يوّجه الى نفسه كل ما ذكرنا من البواعث الفائقة الطبيعة الداعية الى الاتحاد، ويعمل على تحقيقها في هذا الشرق الادنى او الاوسط، حيث دعته العناية الالهية ليعيش

٤ . ولديه للسير في هذا السبيل المجيد منهاج عملي تقدّمه شركة « اصدقاء الاتحاد »

٢٢ — منهاج عملي : اصدقاء الاتحاد

١ . على أساس جميع هذه الاعتبارات اللاهوتية والتاريخية والرعائية ، ووفقاً لافكار مشتركة بين الكنيستين الرومانية

والارثوذكسية، واتماماً لمقصد عملي، يلتفت بعض اعضاء العمل الكاثوليكي في كنيسة الروم الكاثوليك الى اخوتهم ابناء الكنيسة الارثوذكسية في البطريركيات الشرقية، ويعرضون عليهم مشروعاً يستطيعون تحقيقه إماً مشتركين واماً منفصلين، ألا وهو

الشركة الروحية والاخوية لاصدقاء الاتحاد

في سبيل تقارب نفسي
بين الكنيستين الرومية الكاثوليكية والرومية الارثوذكسية
في البطريركيات الشرقية

ويقصد منها الاتحاد — او بالحري اعادة الاتحاد — وفقاً للمآرب الالهية، وفي الساعة التي حدّدتها العناية الالهية، بين الكنيستين اللتين ينتمون اليهما، المنفصلتين الآن بعد ان عاشتا قروناً طوالاً تشتركان في الارث السماوي الواحد في حضن كنيسة المسيح الواحدة

٢. ويأمل اصدقاء الاتحاد في الوقت عينه نيل عطف سائر الطوائف الكاثوليكية، ليعملوا مع ابنائها بيد واحدة، في سبيل الاتحاد

٣. ويكون عملهم هذا تحت راية الكنزين الالهيين المشتركين بين الكنيستين الرومانية والارثوذكسية. وقد وضعت الشركة ذاتها منذ البدء تحت كنفهما الالهيين:

الافخارستيا... والقديسة مريم البتول والدة الاله وام البشر، وسيطة جميع النعم



السيد المسيح، الملك، والنبي، والحبر، ورأس الكنيسة، في المجد السماوي

محبة ... وتعويض ... وحنين الى الوحدة

على كل مسيحي ان يكون من دعاة الاتحاد

لاجل تحقيق الوحدة المحسوسة الظاهرة في كنيسة المسيح الواحدة بحسب رغائب ومشيئة المسيح الأكيدة الثابتة

القسم الثالث

يحتوي هذا القسم الثالث على نداءات من العلى وصلوات لاجل اتحاد جميع المسيحيين، في الوحدة الظاهرة وغير الظاهرة معاً، للجسد السري الذي هو كنيسة المسيح الواحدة الغير المتزعزعة، بحسب ارادة مؤسسها الالهي وحياة الكنيسة على مدى التاريخ

الروح الجديدة بحسب المسيح

نظرة عامّة

ان هذا القسم الثالث من الكتاب هو تتمة القسمين الاوّلين

١. فان انقسام المسيحيين هو تناقض فلسفي، وخطيئة، ونكبة، وشك.

ويتضح ذلك من درس الشهادات العديدة التي لا مردّ عليها الدالة على مشيئة يسوع المسيح في تأسيس كنيسته. فنحن نضع انفسنا تجاه هذه الشهادات، ونستقي منها ما يلزمنا لحلّ معضلة اتحاد جميع الكنائس المسيحية بوجه عام، ومعضلة الاتحاد بين الكنيستين الرومانية والارثوذكسية خصوصاً

٢. وان التأمل في أهم اسرار وحي يسوع المسيح من شأنه ان يجعلنا نلمس لمس اليد ضرورة الوحدة في العهد الجديد الذي هو كنيسة المسيح. فهذا العهد لا يسمح للكنيسة ان تكون اقساماً محسوسة متعدّدة في جوهر واحد غير محسوس

٣. واذا ألقينا على ذواتنا نظرة من يفحص ضميره فحصاً مدققاً، اتضح لنا موقفنا العقلي تجاه معضلة لها ارتباطها الوثيق بمصالح ملك الله الأولية وملك السيد المسيح في العالم

٤. فيُتاح لنا من ثمّ ان نجثو أمام الصليب، بعاطفة التعويض الشرفي، ونشترك في اوجاع الحمَل الذي أخذ على عاتقه عبء خطايا العالم، ومنها خطايا الانقسام جميعها

٥. فتنبعث من صدورنا بعض صلوات لاجل الاتحاد، مستخرجة من الطقس البيزنطي، ونأخذ على انفسنا ان نتلوها كل يوم، فتكون قسطنا الشخصي في عمل الاتحاد

٦. وفي ملحق صغير يُبسَط لنـا من جديد مشروع او عمل التقارب الذي أتينا على ذكره في خاتمة القسم الثاني. في مثل هذا الجوّ الفائق الطبيعة يصبح أمل الاتحاد وطيداً بل حقيقة واقعية مضمونة، بعون الله ومراحمه

الشهادات العديدة الغير المردودة

على مشيئة السيد المسيح في تأسيس كنيسته

١ ـ صوت المعلم

ا ـ في تضاعيف انجيله، الذي هو كلامه

١. ان الانجيـل يحوي رسالة يسوع المسيح العامة الى العالم ـ وحوادث حياته العجيبة ـ والحقائق الفائقة الطبيعة التي أظهرها: الاله الحيّ، الآب والابن والروح القدس؛ والابن الازلي الذي تجسّد من مريم أمه الكلية القداسة بفعل الروح القدس؛ وفداؤه الفائض جداً على الصليب؛ وجلوسه المجيد الى يمين الآب؛ والحياة الالهية المعطاة للناس ليشتركوا في بنوّة الابن الازلية؛ وانتقال الجميع في آخر الازمان الى بيت الآب؛ والحياة الادبية الفائقة الطبيعة، تحت تأثير وفعل الروح القدس؛ ووسائل التقديس اي الاسرار التي

وضعها، وتنظيم الملكوت، اي جماعة ابناء الله الجديدة، الذي جدّده هو بنفسه

اجل ان الانجيل الذي بشر به السيد المسيح عند تجوله في المدن والقرى انما هو انجيل الملكوت الذي ليس له انقضاء. — ويسوع هو ملك ذلك الملكوت — الذي ليس من هذا العالم — واليه يجب ان يأتي البشر من الشرق والغرب، وجميع الامم مدعوّة الى الاشتراك فيه والى ولوجه من باب هو المعمودية، التي بها يصير الانسان ابن الله ويخوّل الحق بأن يدعو الله اباه: « ابانا الذي في السماوات »

ذلك الملكوت يشبه شجرة عظيمة تأتي طيور السماء وتستظل في اغصانها وهو شبيه بأسرة ملكية

هو كرم يعمل فيه عملة كثيرون — وشبكة ملأى من جميع اجناس الاسماك — وحقل ينبت فيه زرع جيد وزرع رديء حتى يوم الحصاد الاخير — وقطيع له راعيه — وله اسم خاص يدعى به « الكنيسة » اي الجماعة اي جماعة المؤمنين، المعتمدين، الخاضعين للرعاة كما للمسيح: من سمع منكم فقد سمع مني، ومن احتقركم فقد احتقرني

٢ . فان يسوع قد سبق فحدّد آساس انظمة الملكوت اي الكنيسة

ففيها جمهور الاعضاء، ينعشهم الايمان والمحبة، وقد خُتموا بختم المعمودية

وفيها رعاة مختارون بين المؤمنين، يدعوهم نوّابه ورسله — ويحفظهم بقربه — ويعلّمهم مدة طويلة ما تجب معرفته لاتمام رسالتهم — الى يوم يرسلهم نهائياً، ويختمهم بختم ثابت هو ثبوت الروح القدس معهم حتى انقضاء الدهر . وقد روى لنا سفر اعمال الرسل حادث ذلك الختم يوم العنصرة، وهو يوم ميلاد الكنيسة المحسوسة الظاهرة

هؤلاء النواب والرسل والرعاة اعطاهم السلطان عينه الذي أعطي لهُ من أبيه : مهمة التعليم، ليحملوا الى العالم رسالته ويحققوها، واعداً إياهم بأن يكون معهم دوماً

وسلطة الحكم والحلّ والربط، وسلطان المفاتيح لأنه، كما ان المسيح حضر الينا وله ملء سلطان الآب، كذلك الرسل يمثلون شخصه وسلطته

وسلطان التقديس، بحسب الطقوس المحسوسة التي وضعها المسيح : المعمودية والافخارستيا، والتوبة، وغيرها من الطقوس على حسب التعليم الكامل الصادر منهم

٣ . على ان في هذا المصفّ الرسولي مركزاً لبطرس

فمنذ التقى به يسوع لاول مرة اعطاه اسماً جديداً يميّزه عن سواه

وهو الصخرة التي عليها ستُبنى الكنيسة، وبيده مفاتيح الملكوت

والمسيح يصلّي لئلّا ينقص ايمانه، وعليه ان يثبّت اخوته

وقد جعله راعياً لخراف قطيعه السرّي ولنعاجه ايضاً، تحقيقاً لوعده له قبلًا

وليست رسالته هذه سوى رسالة محبة : « يا سمعان بن يونا اتحبّني اكثر من هؤلاء ؟ »

واذا كان بطرس يأتي دائماً الأول في لائحة مصفّ الرسل، فلا بدّ ان يكون هنالك داعٍ لهذه الرتبة

والمسيح يبدي له التفاتاً خاصاً في ظروف عديدة

فلا بدّ اذن ان يدوم بطرس في الكنيسة . وكيف يتم ذلك ؟ بالطريقة التي يبديها لنا نموّ شجرة الكنيسة، على نور تعاليم السلطة المعلّمة الحيّة التي تواصل الى الابد عمل المصف الرسولي

٤ . ولا بدّ لهذا الملكوت، ولهذه الجماعة، ولهذه الكنيسة، ولهذا الجسم المنظّم من مبدإ حياة، وهذا المبدأ ليس سوى روح يسوع عينه، الروح القدس (يوحنا ١٦ : ٥ — ١٥) . وقد تمّ ذلك يوم العنصرة، يوم حلّ الروح القدس حلولًا تامًّا وأخذ ينعش ويحيي الكنيسة، التي أنشأها الابن الازلي الذي ارسله الآب وعليها يملك بمجد الى الابد، « جالساً عن يمين الآب »

٥. ان يسوع قد زرع وغرس مدة حياته على الارض. لكن الزرع والغرسة لا يُظهران في ذاتهما بطريقة محسوسة ميزات النبات بل الشجرة التي سوف تنبت منهما تُظهر تلك الميزات بطريقة حسية. هكذا الكنيسة، الكائن الحيّ الحامل في ذاته القوة الحيوية مبدأ نموّه ومكيّفه بضروريات رسالته على مدى الاحقاب والعصور. فهي بنموّ حياتها التاريخية وتطوّرها تبدي العناصر التي تكوّنها

لذلك من اراد ان يعرف طبيعة كنيسة المسيح عليه من باب الضرورة ان يتأمل في الكنيسة الحيّة، في نموّها الاول على عهد الرسل، ثم في تطوّرها على مدى التاريخ. فهي كائن حيّ، تنطق بتقليدها الحيّ، اي بواسطة معلّميها وكل ما يؤلف سلطة التعليم فيها: اي بواسطة الانجيل والرسل والتقليد والتاريخ والعقل المستنير بأنوار الايمان. اذ علينا نحن الخلائق العاقلة ان نسير بواسطة العقل في طريق الخلاص الذي نهجه المعلّم الالهي، وان يكون سيرنا هذا على أثره، او بالاحرى ان نسير به ومعه...

٢ – في وصيّته الاخيرة

«الحق الحق اقول لكم ان الذي يقبل من أرسله يقبلني. والذي يقبلني يقبل الذي ارسلني.. يا اولادي انا معكم زماناً يسيراً... اني اعطيكم وصية جديدة ان يحبّ بعضكم بعضاً كما احببتكم انا. وبهذا يعرف الجميع انكم تلاميذي اذا كنتم تحبّون بعضكم بعضاً...

انا الطريق والحق والحياة. لا يأتي احد الى الآب الّا بي. الحق الحق اقول لكم ان من يؤمن بي يعمل الاعمال التي انا اعملها ويعمل اعظم منها لاني ماضٍ الى ابي. فكل ما تسألون الآب باسمي فأنا افعله ليتمجد الآب في الابن...

ان كنتم تحبوني فاحفظوا وصاياي. وانا اسأل الآب فيعطيكم معزياً آخر ليُقيم معكم

الى الابد روح الحق ... ان احبني أحد يحفظ كلمتي وابي يحبه واليه نأتي وعنده نجعل مقامنا

اثبتوا فيّ وانا فيكم . كما ان الغصن لا يستطيع ان يأتي بثمر من عنده ان لم يثبت في الكرمة كذلك انتم ايضاً ان لم تثبتوا فيّ . انا الكرمة وانتم الاغصان . من يثبت فيّ وانا فيه فهو يأتي بثمر كثير لانكم بدوني لا تستطيعون ان تعملوا شيئاً . ومتى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق » (يوحنا ١٣ : ٢٠ الى ١٦ : ١٣)

٣ – في صلاته الكهنوتية لاجل الوحدة

« يا أبتِ قد اتت الساعة، مجّد ابنك ليمجدك ابنك . كما اعطيته السلطان على كل بشر ليعطي الحياة الابدية لكل من اعطيته له . وهذه هي الحياة الابدية ان يعرفوك انت الاله الحقيقي وحدك والذي ارسلته يسوع المسيح

قد اعلنتُ اسمك للناس الذين اعطيتهم لي من قبل كون العالم . هم كانوا لك وانت اعطيتهم لي . انا اسأل من اجلهم ... احفظ باسمك الذين اعطيتهم لي ليكونوا واحداً كما نحن واحد ... قدّسهم بحقك ان كلمتك هي الحق ... لأجلهم اقدّس ذاتي ليكونوا هم ايضاً مقدّسين بالحق ...

ولست اسأل من اجل هؤلاء فقط ، بل ايضاً من اجل الذين يؤمنون بي عن كلامهم ليكونوا بأجمعهم واحداً كما انك انت ايها الآب فيّ وانا فيك، ليكونوا هم ايضاً واحداً فينا، حتى يؤمن العالم انك انت ارسلتني . وانا قد اعطيت لهم المجد الذي اعطيته لي ليكونوا واحداً كما نحن واحد، انا فيهم وانت فيّ، ليكونوا مكمَّلين في الوحدة حتى يعلم العالم انك انت ارسلتني وانك احببتهم كما احببتني ... لتكون فيهم المحبة التي احببتني واكون انا فيهم » (يوحنا ١٧ : ١ – ٢٦)

٢ – صوت الرسل

١ . هم محققو رسالة المسيح، واليهم دفع يسوع المسيح وديعة تعليمه ليعملوا به . لذلك كنيسة المسيح تدعى رسولية . هم اثنا عشر، لكنَّ هؤلاء الاثني عشر ليسوا افراداً مستقلّين بل جماعةً منظمةً بحسب تعيينه . وهو نفسه سوف يضيف اليهم بولس

٢ . وشهادتهم الخاصة محتواة في الاسفار المنزلة : سفر اعمال

الرسل، وفيه تاريخ نشوء كنيسة المسيح وانتشارها في العالم، وهو تأليف لوقا تلميذ بطرس وبولس، ويُدعى سفره انجيل الروح القدس؛ ثم رسائل الرسل أنفسهم؛ واخيراً رؤيا القديس يوحنا، وفيها رسم ما سوف يحدث للكنيسة على مدى العصور، وفي الآفاق رسم ما سوف يكون في آخر الازمان وعند انقضاء الدهر

٣. على ان بين الرسل من حقَّق ملكوت المسيح اكثر من الجميع، بامتداد عمله الرسولي كما وصل الينا، وهو القديس بولس. وهو على الخصوص المعلّم اللاهوتي لعقيدة وحدة الكنيسة من حيث هي جسد المسيح السرّي، للدلالة على الاتحاد العجيب الفائق الطبيعة الهرّي بين يسوع المسيح وجماعة المؤمنين مؤلّفي كنيسته

٤. فتعليم القديس بولس بشأن الكنيسة موضح خصوصاً في رسالته الى أهل أفسس؛ على ان شذرات هذا التعليم الذهبية منثورة في رسائل من يُدعى «الرسول» بحصر المعنى. فمنها النصوص الآتية:

نحن الكثيرين جسد واحد في المسيح وكلُّ واحد منا عضو للآخرين. (رومة ١٢ : ٥)

كما أنَّ الجسد واحد وله اعضاء كثيرة، وجميع اعضاء الجسد مع كونها كثيرة انما هي جسد واحد، كذلك المسيح ايضاً. فإنَّا جميعنا اعتمدنا بروح واحد لجسد واحد... وجميعنا سُقينا روحاً واحداً... فانتم جسد المسيح واعضاؤه من عضو... (١ كور ١٢ : ١٢، ١٣، ٢٣)

فاسألكم انا الاسير بالرب ان تسلكوا كما يحقّ للدعوة التي دُعيتم بها بكل تواضع ووداعة واناة محتملين بعضكم بعضاً بالمحبة ومجتهدين في حفظ وحدة الروح برباط السلام. فانكم جسد واحد وروح واحد كما دُعيتم الى رجاء دعوتكم الواحد. وللجميع رب واحد وايمان واحد ومعمودية واحدة واله واحد وآب واحد، هو فوق الجميع ومع الجميع وفي جميعكم. (افسس ٤ : ١ – ٧)

ان الله مزج الجسد حتى يخصّ العضو الناقص بكرامة اعظم، لئلّا يكون في الجسد شقاق بل يكون للاعضاء اهتمام واحد بعضها ببعض. (١ كور ١٢ : ٢٤ – ٢٥)

٣ ـ صوت التقليد

الذي هو الشاهد الحيّ للمعتقد الذي سلّمه الرسل وحفظته الكنيسة تحت تأثير فعل الروح القدس

١ – في المجمع النيقاوي المسكوني الاول (٣٢٥) الذي تضمه كل الكنائس المسيحية في اساس المعضلة المتعلقة بعقيدة وحدة الكنيسة

٢ – في المجامع المسكونية التابعة: القسطنطيني الاول (٣٨١)، والافسي (٤٣١) والخلقيدوني (٤٥١)، والقسطنطيني الثاني (٥٥٣)، والقسطنطيني الثالث (٦٨٠)، والنيقاوي الثاني (٧٨٧)، والقسطنطيني الرابع (٨٧٩ — ٨٨٠) الذي صارت فيه اعادة فوتيوس الى حضن الكنيسة، فات بعد ذلك في شركة الكنيسة الرومانية

بصوت آباء الكنيسة ومعلّميها وملافنتها

وفي مؤمنيها المتحدين بالآباء والمعلّمين المذكورين، لان الكنيسة المتعلّمة هي ايضاً شاهد للايمان كالكنيسة المعلّمة . فهذه تعطي وديعة الايمان، وتلك تقبلها

على ان يكون هذا التعليم موافقاً لتفسير السلطة المعلّمة الحقيقية الحيّة دوماً في الكنيسة على مدى العصور، بقوّة تسلسل الاساقفة خلفاء الرسل

٤ ـ صوت الليترجيا

ان الليترجيا او الصلاة هي قاعدة الايمان، كما ان الايمان هو قاعدة الصلاة

« بعد التماسنا الوحدة في الايمان وشركة الروح القدس لنودع ذواتنا وبعضنا بعضاً وجميع حياتنا المسيح الاله

« يقسّم ويفصّل حمل الله ابن الآب الذي يقسّم ولا ينقص، ويؤكل كل حين ولا يفنى اصلاً . بل انه يقدّس المشتركين فيه

«لنطلب الى الرب بسلام . . . لاجل سلام كل العالم وثبات كنائس الله المقدسة واتحاد الجميع . (ليتورجيا القديس يوحنا فم الذهب)

« ان الفم الالهي قال : يا احبائي، لا يكن بينكم خصومة ومنازعات . لاني بجلوسي عن يمين الآب سأعطي بغزارة الروح الكلي قدسه للذين يطلبونه . (قانون الخميس العظيم المقدس)

« نحن كلنا المشتركين في الخبز الواحد والكأس الواحد، صيّرنا متحدين بعضنا ببعض في شركة الروح القدس الواحد (ليتورجيا القديس باسيليوس)

«اذكر يا رب كنيستك الجامعة المقدسة الرسولية التي هي من اقاصي المسكونة الى اقاصيها . . . اجمع المتفرقين، ردّ الضالين، وضمهم الى كنيستك الجامعة المقدسة الرسولية . . . اكفف انشقاقات الكنائس، أخمد وثبات الامم، لاش خضات الارتقات سريعاً بقوة روحك القدوس، اقبلنا جميعاً في ملكوتك، اظهرنا بني النور وابناء النهار، هب لنا سلامك وحبك

«فانت يا رب الكلّ اعطنا ان تكون لنا شركة في جسد مسيحك ودمه الاقدسين لايمان لا يخزى، لمحبة بلا رئاء، للامتلاء من الحكمة، لشفاء النفس والجسد، لابعاد كل شيء مضاد لحفظ وصاياك، لجواب حسن مقبول لدى منبر مسيحك المرهوب (ليتورجيا القديس باسيليوس)

٥ ــ صوت التاريخ

١ . هو حياة الكنيسة على مدى العصور، وخصوصاً في القرون العشرة الاولى، إبّان الشركة بين الكنائس الغربية والشرقية

٢ . فان الكنيسة جسم حيّ . وقوّتها الحيوية مزدوجة : قوّة النموّ في العقيدة، وقوة النموّ في التنظيم، على حسب ما جاء في القاعدة المنسوبة الى القديس منصور دي ليران (القرن الخامس)، وهو تعليم يمتّ بصلة الى تقليد الكنائس الشرقية، كما الى تقليد الكنائس الغربية . قال :

« اذا كانت العقائد الاولية قد تطوّرت مع الزمن وتفتّحت الآن كاملة النضوج، فميزة بزرتها الخاصة على الاقلّ تبقى ثابتة لا تتغيّر في وجه من الوجوه . فلا مانع اذن ان تتطوّر العقائد من حيث شكلها وسطوعها، على ان تحتفظ بطبيعتها الخاصة بنوعها . معاذ الله ان تتحوّل اغراس الورد في التعليم الكاثوليكي الى اشواك وحسك . يحقّ لهذه العقائد القديمة من الفلسفة السماوية ان تخلع ثوبها الخشن، وتلبس ثوباً ناعماً مع توالي الزمان . امــا تغييرها وتبديلها وتحريفها وتشويهها فهو جريمة لا تُغتفر . يمكن ان تنال هذه العقائد وضوحاً اعظم ؛ لكن لا بدّ لها ان تحتفظ بكمالها ومعناها الصحيح »

٣ . فاذا كانت الكنيسة تحوي في ذاتها ميزة الحقيقة — بحسب تعليم القديس ايرناوس، وهذا تعليم لا يشك فيه احد، لا الكاثوليكي ولا الارثوذكسي — كيف يمكن ان تبقى حياة عشرة قرون عاجزة عن بيان طبيعة الكنيسة، المؤسسة الالهية البشرية معاً، وعن بيان العناصر التي تتكوّن منها وحدة الكنيسة الداخلية كما ارادها مؤسسها الالهي يسوع المسيح؟ ان العمل في الكائنات تابع لطبيعتها، وهو من نتائج جوهرها، فهو اذن يدل على تلك الطبيعة وهذا الجوهر

٦ — صوت العقل نفسه المستنير بانوار الايمان

١ . انها من كائنات واحدة بالعدد لا تستطيع ان تنجم الا نسبة وحيدة . فالله هو واحد، المصدر الاول لجميع الكائنات . والطبيعة البشرية الواجب وصلها بالله واحدة . فالرابط بين الله والانسان واحد اذن . وهذا هو جوهر الديانة الطبيعية الواحدة في جوهرها مع الاختلافات العرضية التي تظهر في ممارستها، اذا فرضنا ان تلك الاختلافات موافقة كلها للعقل السليم

٢ . كذلك تجري الامور تماماً في النظام الفائق الطبيعة :

فالله واحد في طبيعته، مثلث بالاقانيم : آب واحد، وابن واحد، وروح قدس واحد

والوسيط بين الله والناس واحد، فادي الجميع

والوحي واحد، وهو كلمة الله الموجهة الى البشر

وواحد ايضاً إعداد الناس منذ الازل ليكونوا ابناء الله

وواحد الفداء العام الشامل جميع الناس

ومن ثم، فلا بد، من باب الضرورة المنطقية، ان يكون :

واحداً العهد الجديد المحقق بذبيحة المسيح الواحدة على الصليب

وواحدة المعمودية التي تضم المعمدين الى المسيح

وواحدة ايضاً ذبيحة العهد الجديد، اي ذبيحة جسد المسيح ودمه

وواحداً جسد المسيح السري اي كنيسة المسيح، التي لا يمكن ان تكون متعددة، ولو كانت جواهر جماعاتها العديدة هي هي جوهرياً

٣ . فكنيسة المسيح اذن من طبيعتها لا تستطيع الا ان تكون واحدة وفريدة بالعدد، حاوية في وحدتها الداخلية العناصر الجوهرية التي شاء السيد المسيح ان يضعها فيها

أجل، يمكن تصور اختلافات في العناصر البشرية الداخلة في دين المسيح، وقد سبقنا فقلنا ان فيه من هذه العناصر المختلفة . على اننا لا نستطيع ان نجد في كنيسة المسيح اختلافات في عناصرها الالهية، فكم بالحري لا يمكن ان يكون فيها مناقضات ومعاكسات !

نداءات خاصة الى الوحدة



تجاه حقائق الوحي المسيحي الفائقة الطبيعة يظهر انقسام المسيحيين كانتهاك للاقداس



نداء اول من قبَل الله الحيّ الآب والابن والروح القدس

الثالوث المعبود بالاقانيم في لاهوت واحدٍ بالجوهر

الاساس الاول لوحدة جسد المسيح السرّي اي الكنيسة

على كل مسيحي ان يكون من دُعاة الاتحاد... باسم الوحدة الالهية، او باسم اشتراك البشر الواحد في وحدة تلك الحياة الالهية في المسيح الواحد، الكلمة المتجسد، وفي كنيسته اي جسده السرّي

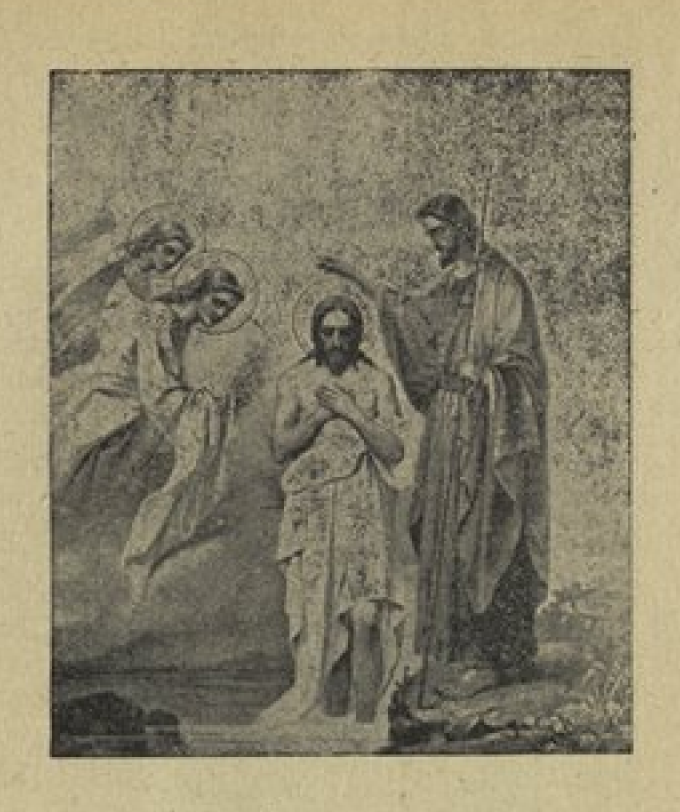


نداء ثانٍ من قبَل سرّ التجسُّد الالهي

في يوم البشارة جُعلت مريم ام الله وسيطة جميع النعم مع ابنها الالهي وبنعمته

فلكي يُمنح البشر ان يصيروا ابناء الله وابناء مريم واخوة يسوع المسيح، على كل مسيحي ان يكون من دعاة الاتحاد...

باسم الوسيط الاوحد... وباسم الوسيطة الوحيدة...



نداء ثالث من قبَل سرّ عماد المخلِّص

ان المعمودية هي المبدأ المحسوس لوحدة الكنيسة. وهي استيلاء فائق الطبيعة، بقوة الاحكام الالهية الازلية العائدة الى تبنّي البشر، وبقوة استحقاقات الفادي، وبحسب رغائب يسوع المسيح

فعلى كل مسيحي ان يكون من دعاة الاتحاد

باسم المعمودية الواحدة في المسيح



نداء رابع من قبل سرّ قيامة الفادي

ان المسيح بقيامته قد نشر رايته على الاجيال، ليجمع قديسيه والمؤمنين به، الذين من اليهود والذين من الامم، في جسم واحد وهو كنيسته

القديس اغناطيوس الانطاكي

فيا ايها الكاثوليك... والارثوذكس...

على كل مسيحي ان يكون من دُعاة الاتحاد

باسم المسيح الناهض من بين الاموات



نداء خامس من قبل سرّ حلول الروح المعزّي

لما انحدر العلي وبلبل الالسن قسّم الامم . وحين وزّع الالسن النارية دعا الكل الى الاتحاد ...
من الليترجيا

ايها الكلمة الشفيق ، طهّر هيكلك الحيّ بحلول روحك القدوس ، وليُزِل حلوله فيما بيننا ضلال الانشقاق
من الليترجيا

ايها المسيح انقذ شعبك المسيحي من الانقسام . واضرمه بنار الغيرة الحقة على نقاوة الايمان

ان انقسام المسيحيين انتهاك للاقداس وخطيئة ضدّ الروح القدس محقق الوحدة

على كل مسيحي ان يكون من دعاة الاتحاد

باسم الروح الواحد ... منعش كنيسة المسيح الواحدة



نداء مريم والدة الله وامّ جميع البشر وسيطة جميع النعم

انها تقدّم ابنها الالهي للعالم وتكلمنا وتقول لنا : افعلوا جميع ما يأمركم به. وصوتها الالهي يرتفع ، لدى مشاهدتها انقسام المسيحيين :

«كونوا حقاً اخوة بعضكم لبعض، يا جميع الذين يدعونني اماً لهم»



الثلاثة الاقمار : غريغوريوس – باسيليوس – الذهبي الفم

هم آباء ومعلمو الكنيسة الجامعة، الذين أناروا بتعاليمهم ولا يزالون ينيرون الشرق والغرب، داعين الجميع

الى الوحدة... والخدمة... والمحبة...

ايها الاله الكلي الصلاح، نتضرع اليك، بشفاعات والدتك والآباء القديسين، ان تؤيد كنيستك، وتوطد الايمان

(من صلوات الطقس البيزنطي)

على كل مسيحي ان يكون من دعاة الاتحاد

باسم التقليد الواحد... والاجداد المشتركين... والايمان القويم الواحد

فحص الضمير

بشأن معضلة اتحاد الكنائس المسيحية

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARY

١ – هل لي بعض الالمام بمعضلة اتحاد الكنائس المسيحية؟ أي:

١. بواقعة انقسام المسيحيين؟

٢. بالمشاكل التي يثيرها هذا الانقسام؟

٢ – ما هي انفعالاتي الشخصية تجاه هـذه المعضلة، معضلة انقسام المسيحيين؟

هل هو جهلٌ؟ بحيث لا أعرف بمَ يقوم هذا الانقسام، فيفوتني فهمه ...

أم هو عدم مبالاة؟ كمن يقول: هذا ليس من شأني. فليتدبرهُ من يهمّه الامر ...

أم هو عجز؟ فأقول: وماذا بوسعي ان أفعل؟ ...

أم هو تهاون؟ فأقول: عندي شؤون أخرى أهتمّ بها ...

أم هو انكسار قلبٍ وانسحاق نفسٍ فائق الطبيعة؟

فهنالك اسباب كثيرة تدعـو الى الاتحاد: اصوات من السماء... واصوات مُلحّة من الارض...

وهنالك اسباب تحتم بالاتحاد. فالانقسام خطيئة... لماذا؟... والانقسام كارثة... لماذا؟... والانقسام شك... لماذا؟

وهنالك المسؤوليات الواضحة في الانقسام:

مسؤولية مشيئة الله؟ معاذ الله من هذا الكفر!!... بل سماح من الله لغايات تتوخاها عنايته الالهية. أجل، والعناية الالهية تبدو كاملة سامية، اذ تحقق غاياتٍ كلها حكمة سامية فيما بين اغلاط البشر وبالرغم من تلك الاغلاط

[stamp]

على ان السماح الالهي لا يُزيل المسؤوليات البشرية. فعلى من تقع تلك المسؤوليات؟ — على البشر بلا ريب — وعلى الظروف والاحوال، التي قد تدفع الافراد والشعوب خصوصاً، لكنها لا تزيل المسؤوليات الادبية — على البشر الذين تمّ الانقسام على يدهم... وعلى الذين لم يمنعوا الانقسام، وكان بوسعهم ومن واجبهم ان يمنعوه... وعلى الذين لم يفعلوا شيئاً لاصلاح ذلك الشرّ... وعلى الذين لا يعملون شيئاً ليضعوا حداً لهذه الحالة، وعليهم تقع مسؤولية العمل...

يُقال ان الانقسام خطيئة المسيحيين عموماً. فهل أنا من المسيحيين؟ واذا كنت منهم فماذا كان يجب عليَّ ان أفعل ولم أفعل؟

« تكلم يا رب، فان عبدك يسمع... يا رب، ماذا تريد ان اصنع ؟ »

٣ — اني كاثوليكي. فهل أصغي ولو بعض الشيء الى تعاليم الاحبار الاعظمين ؟

قال البابا بيوس الثاني عشر في احدى براءاته الاخيرة : « وفي سبيل هذا العمل الشريف (عمل اتحاد الكنائس المسيحية) المستحق الاجور السماوية، فليخصّص الجميع كل قواهم، ليس فقط اولئك الذين يعيشون في المناطق الشرقية، الذين باعتبار متبادَل وعلاقات ودية، وبأمثال حياةٍ لا عيب فيها، يمكنهم بسهولة كبرى ان يجذبوا الى وحدة الكنيسة الاخوة المنفصلين ولاسيما خدَمة المذابح المقدسة، بل ايضاً كل المؤمنين بالمسيح... والذين يعيشون في المدارس الاكليريكية وغيرها من معاهد الدراسة... فكل الذين يشاركون ذوي السلطة الكنسية في عملهم، سواء أكانوا حائزين على شرف الرسامات المقدسة ام كانوا اعضاء في مؤسسات العمل الكاثوليكي او في شركات أخرى ؛ ليعملوا دوماً على تنشيط مشروع الاتحاد المشتهى، اتحاد كل الشرقيين مع الاب العام ، وليقوموا بعملهم هذا بصلواتهم وكتاباتهم وكلامهم » (براءة بداعي التذكار المئوي الخامس عشر لوفاة القديس كيرلس الاسكندري)

فيظهر ممّا تقدّم ان البابا يوجّه دعوته ونداءه الى ارباب السلطة

الكنسية، والى الرهبان، والى اعضاء العمل الكاثوليكي، والى الشبيبة، والى جميع المؤمنين…

فاذا كنت أتملص من الظهور في احدى هذه الفئات فلا بدّ ان يكون ذلك بتعدادي نفسي في فئة اللاإكتراثيين، او الذين لا همّ لهم، او الكسالى، او الذين يهربون من كل مزعج، او الذين جعلوا دأبهم الانتقاد، ولا أقول في فئة الاعداء، بل في فئة الذين لا يعاكسون الاتحاد بشيء، ولكن لا يعملون له البتة. فعليّ ان اواصل صلاتي اليومية واقول: أبانا الذي في السماوات… ليأتِ ملكوتك… لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الارض…

ولنوجه الآن كلامنا الى احد دعاة الاتحاد

انتَ تعلم المنهاج الموضوع لدعاة الاتحاد، وقد رسمه لنا الحبر الاعظم، ولنا خصوصاً نحن العائشين في الاقطار الشرقية: صلاة وسيرة مسيحية لا عيب فيها — واعتبار الاخوة المنفصلين — وعلاقات ودية معهم — وكتابات… وأقوال… وقصارى القول: صلاة، ودرس، وعمل في الحق والمحبة، بائتلاف وامتزاج كاملين

اولاً: صلاة وسيرة مسيحية

١. هل تصلّي في ذاتك لتحقيق الوحدة المسيحية، اي وحدة الايمان، والسلطة، والمحبة، في جميع المسيحيين، جميع المعمَّدين، المتحدين بالمسيح بواسطة النعمة والنية السليمة، والضمير الصالح، وجميعهم اعضاء جسد المسيح السري؟

٢. هل عندك لهذه الصلاة عبارة قد أَلِفتها تعود بسهولة على

شفتيك وفي قلبك ؟ فان تقدمة النهار لاجل الاتحاد هي من الممارسات الممتازة لتوجيه النيات والتأثير في العمل

٣ . هل فيك حقاً همٌّ يحملك على ان تسير سيرة مسيحية لا منزهة عن اللوم فقط — مع ان في ذلك كمالاً عظيماً — بل تزداد يوماً فيوماً في السخاء في مجموعها ؟ فان مثل هذه الحياة تدخلنا في ائتلاف التسبيح والابتهال الدائمين اللذين ينجم عنهما في العالم الجوّ الفائق الطبيعة الذي فيه وحده يمكن ان تتفتّح زهرة الاتحاد

٤ . ان العمل الاعدادي للاتحاد الموضوع على عاتق دعاة الاتحاد قد جُعل تحت راية الافخارستيا والعذراء القديسة . فما هي افعال العبادة للافخارستيا وللعذراء التي تمارسها لاجل الاتحاد ؟ في حياتك الفردية ؟ وفي حياتك العيلية ؟ وفي رعيتك التي انما هي الجرثومة الاولى لتلك الاسرة الالهية التي ندعوها « الكنيسة » ؟

ثانياً : الدرس

١ . ان اول سؤال « علمي » يجب ان نطرحه على ذاتنا هو هذا السؤال الابتدائي: ما هو موضوع البحث ؟ فهل تستطيع ان تجيب عن هذا السؤال بحيث تلقي شيئاً من النور في عقل القريب الذي يلقيه عليك ؟

٢ . هل تستطيع ان تتحدث عن الاتحاد تحدُّث العارف المطّلع، لا مع اختصاصي، بل مع مسيحيّ مطّلع من مذهب آخر ؟

٣ . ومهما يكن من ذلك، فان بعض المعارف توحي الينا

بموقف وسلوك خاص تجاه الغير الكاثوليك . فنحن اليوم نلاحظ حركة عامة في سبيل الوحدة المسيحية ، فلا بدَّ اذن ان يكون هنالك ابحاث لا بدَّ من اعادة النظر فيها . فأمثال هذه الابحاث الدقيقة لا تأتي على البداهة بل ينبغي لها فحص وتنقيب في المصادر الراهنة . فهل لديك وسائل للاطلاع ؟ وهل تستخدمها لنفسك ؟ وللآخرين ؟ وهل هذه الوسائل كافيـة لسدّ حاجات ومقتضيات البيئة التي هي لك ميدان العمل ؟

٤ . هوذا الآن بعض المبادئ الدارجة التي لتأويلها الدقيق او الكاذب او المبالغ فيه تأثير في « العلاقات الودية » بين الفريقين :

١ – لا خلاص خارجاً عن يسوع المسيح . فهل جميع الذين لا يعرفون يسوع المسيح حقاً لا يستطيعون ان يخلصوا ؟

٢ – لا خلاص خارجاً عن الكنيسة . فهل جميع الخارجين عن الكنيسة الكاثوليكية هم شاردون عن سبيل الخلاص ؟

٣ – كل الكنائس الغير المتحدة بالكنيسة الرومانية هي كنائس منشقة او مبتدعة . وكذلك المؤمنون القابلون لها . والحال ان العقوبات الكنسية تلحق بالمنشقين والمبتدعين الهراطقة . أليس في ذلك كله بعض تمييزات لا بدَّ منها ؟ وهل يسوغ ان يُطلق هكذا الحرم المهين ضد من ليس كاثوليكياً ؟

٤ – يُقال ان الارثوذكس واليعاقبة والنساطرة والارمن والبروتستان واليهود والمسلمين، جميعهم سواء، والموقف تجاههم واحد : دفاع وهجوم باسم الحق الذي نحافظ عليه نحن معشر الكاثوليك وديعةً غير ناقصة، ومن ثمَّ معاملتهم بموجب قوانين الشرع من حيث الاشتراك في القدسيات . فهل هذا التعصب المطلق مبدأ صوابي من الوجهة اللاهوتية والشرعية والرعائية ؟ هل هو مبدأ موافق للعدل والحق والمحبة؟

٥ – يقال ان الكنيسة الكاثوليكية هي الكنيسة الوحيدة الحقيقية . وخارجاً عنها ليس من شيء الهي ، وما من شيء يعود بالفائدة . فما قولك في البابا الذي يسمّي المسيحيين الشرقيين اخوته ؟ وما رأيك في القديس اوغسطينس الذي قال : اذا عمّد بطرس فالمسيح يعمّد ؛ واذا عمّد بولس فالمسيح يعمّد ؛ واذا عمّد يهوذا فالمسيح يعمّد... ؟

٦ – يقال ان الكنائس غير الكاثوليكية ليست خارجة عن الوحدة الّا بذنبها، فليس على الكاثوليك من مسؤولية تجاهها . أليس في هذا القول نسياناً للتاريخ ، وجهلاً لتركيب النفس البشرية وللاحوال التي تنقضي فيها حياة البشر ؟ ألم يَسِم السيد المسيح هذا السلوك بعبارة قاسية فدعاه : سلوك الفريسيين، واعجاباً بالذات لا مزيد عليه ؟ لنسمع بالحري القديس اوغسطينس، مخاطباً بعض النفوس القلقة في عهده :

« ليقُم عليكم اولئك الذين لا يعرفون بأي عناء وجهاد تُكتشف الحقيقة وكم يُداس من الصعوبات للتملّص من بين مخالب الضلال ... أما انا فلا يسعني أن انسى أني لم اتوصّل الى التمتع بالحقيقة ناصعة خالصة من كل شائبة إلا بعد أن تقاذفتني طويلاً امواج الضلال . لا. لا. لستُ ممن يقومون عليكم . فبما ان غيري قد احتملني اذ كنتُ شارداً عن الحقّ، فعليّ ان احتملكم ايضاً » (عن مجلة الابرنكون ١٩٢٨ – ١٩٣٠ ص ١)

٧ – يقال ان الكنيسة الكاثوليكية أم ، مستعدة دوماً ان تقبل في حضنها بحنان والدي من يريد ان يعود اليها . فالذين لا يلبّون دعوتها الوالدية مذنبون ، ولا تقع الملامة الّا عليهم في ما يوسمون به من العقوبات على مسؤوليتهم هذه...

ويقال ان الاسباب التي تدفع الى انتحال الكثلكة واضحة نيّرة لا مردّ عليها، ولا يصدّ عن ادراكها والتسليم بها الّا سوء النية او التهاون المجرم...

ويقال اذا كان البحث عن الدين الحقيقي او عن كنيسة المسيح امراً منوطاً بالحقّ، فلا محلّ من بعد للمحبة في مملكة الحقّ هذه ...

ويقال ايضاً ان كنز الايمان الحقّ هو الكنز الأغنى واللؤلؤة الثمينة التي لا بدّ ان يُبذَل في سبيلها كل غالٍ ورخيص . وبما ان الغاية تبرّر الواسطة، فيجب الدفاع

عن العقيدة الحقّة بجميع الوسائل الشرعية وغير الشرعية، وكل وسيلة تقود الى هذه الغاية صالحة في ذاتها ...

في هذه المبادئ كلها شيء من الصحة لا بدّ من تمييزه فيما بين احوال وظروف نفسية دقيقة . فهنالك اذن بعض تمييزات واستيضاحات · لان الحق في هذه المبادئ ليس كلاً لا يمازجه شيء من الخلل · فبسط المبادئ بصورة قطعية جازمة يزعج العقل والعاطفة والارادة، ويثير الاحقاد ويوطّد الارادة في الالتصاق بفريق يُعتبر خصماً للفريق الآخر

٥ . فيُستفاد مما تقدّم ان للمبادئ المذكورة آنفاً اهمية كبرى وأثراً بليغاً في علاقات الكاثوليك مع غير الكاثوليك . وانه لا بدّ لمن يريد معالجة الشؤون ان يعرف التعليم الصحيح معرفة دقيقة، وان يكون مُطّلعاً على التعليمين الكاثوليكي وغير الكاثوليكي ايضاً

ثالثاً : العمل

١ . هل انت موقن تمام اليقين المبدأ القائل : أعِن نفسك فتعينك السماء، في عمل الاتحاد والتقرّب بين الكاثوليك وغير الكاثوليك ؟ وأنه لا بدّ ان نعمل شيئاً في هذا السبيل، وفقاً لشريعة العناية الالهية، الحاتمة باستخدام العلل الثانوية لتحقيق مآربها في النظام الفائق الطبيعة كما في النظام الطبيعي ؟ هل انت موقن ان كلمة « مستحيل وعبث » في هذا الشأن تدلّ على ان هنالك مجالاً واسعاً للعمل، فما هذه الكلمة ألا تملّص من مسؤولية وعبارة بديهية لأنانية متأصلة فينا ؟

٢ . هل انت موقن تمام اليقين ان الموقف الاول الواجب

وقوفه تجاه الغير الكاثوليك انما هو ان ندرك ولو ادراكاً سطحياً مجملًا ما هو العنصر الذي يجعلهم مختلفين عنا في الدين ؟

هل انت موقن انهم قبل كل شيء معمّدون، بمعمودية المسيح الواحدة، التي لا يتعلق مفعولها بالخادم الذي يمنحها، بشرط ان يتقيد بشروط صحتها ؟

هل انت موقن ان تعليمهم الديني يحوي كثيراً من التشابه مع تعليم ايماننا المقدّس، وهو هو نفسه في كثير من اجزائه ؟

هل انت موقن ان غير الكاثوليكي قادر ان يستثمر احسن من الكاثوليكي شذرات الذهب التي في تعليمه وعقيدته، فيما الكاثوليكي قادر ان لا يستثمر البتة او ان لا يستثمر كما ينبغي الصخرة الذهبية التي هي كنيسة المسيح التي هو فيها ؟ ومن ثمّ هل انت موقن ان الغريب عن الدين المسيحي ينال من الكاثوليكي الشرير شهادةً عن الدين اقلّ قدراً من شهادة غير الكاثوليكي الصالح ؟

هل انت موقن اننا اذا قابلنا بين الحالة الدينية في الكنيستين الرومانية والارثوذكسية وجدنا بين الكنيستين تماثلاً وتشابهاً لا بدّ للكاثوليك ان يعترفوا بهما من باب الحق والعدل، وان هذا التشابه يمهّد السبيل لحل معضلة الاتحاد ؟

٣. هل نفهم ان غير الكاثوليك في عصرنا الحاضر ليسوا بمسؤولين عن الانفصال الاول عن الكنيسة، كما اننا نحن معشر الكاثوليك لا فضل لنا في كوننا وُلدنا في حضن الكنيسة الرومانية ؟

هل نفهم ان هؤلاء المسيحيين غير الكاثوليك يحق لهم ان نعتبرهم مخلصين سليمي النية الى ان يتضح لنا العكس بالبرهان ؟

هل نفهم انه لا يكفي للانسان ان يولد غنياً بالثروة الروحية الكنسية، بل ان قيمة المسيحي، من اي مذهب كان، منوطة على وجه الاطلاق باستعماله لثروته، وان خمس وزنات يتاجر بها الانسان تجدي اكثر من مئة وزنة يطمرها في الارض ؟

هل نفهم ان بعض المسيحيين قادرون ان يموّهوا الوزنات الالهية التي دُفعت

لهم بطلاء يغشيها فلا يعود يُرى ما فيها من عنصر الهيّ ، او يظهر في مزاج ينفّر ويسبب عثرة ؟

٤ . ومن ثمّ هل نفهم انه لا يسوغ لنا ان نعلن فاسداً في هؤلاء المسيحيين كل ما يكوّن كنيستهم الخاصة ؛ وان علينا واجباً يقضي باحترام الذهب الالهي وديعة السيد المسيح، حيثما نجده : في العقيدة والآداب والاسرار والحياة المسيحية ؟ . . .

٥ . هل نفهم ان كثلكة الكاثوليك تقاس في نظر الغير الكاثوليكي، وعلى حسب الاحوال النفسية عند البشر، لا بمقياس ما يقوله من الاقوال بل بمقياس ما يبديه من الحياة الادبية والدينية ؟

ألا يجب علينا ان نعدّ موجهة الينا اقوال السيد المسيح : كثيرون يأتون من المشارق والمغارب ويسبقونكم الى ملكوت السماوات ؟ ألا تميل بنا كبرياؤنا الى ان نقابل انفسنا بغير الكاثوليك، فنقول مع الفريسي بعاطفة الاعتداد بالذات : اشكر لك يا رب اني لست كسائر الناس، ولا مثل هذا الغير الكاثوليكي الجاثي هنا أمامك؟

٦ . فهل نفهم ان للدين وجوهاً متعدّدة يجب ان نميّزها ؟ وان النفس البشرية هي ايضاً مكوّنة من عناصر مختلفة دقيقة بليغة، يعريها مبضَع الفيلسوف من الوجهة النظرية المختلفة كل الاختلاف عن الحياة العملية المحسوسة ؟ فان النظر الى تاريخ البشرية من الوجهة الادبية، على توالي العصور، من شأنه ان يملي علينا تحفظاً في التقدير والحكم في كل ما يتعلّق باحوال البشر النفسية

٧ . هل نفهم ان للشؤون النفسية البشرية علاقةً وثيقة بالحقيقة، وان النفس البشرية ليست عقلاً فقط بل عاطفة وارادة ايضاً ، وان

تمازج القوى العقلية والعاطفية والحسية دائم بليغ لا يُسبَر غوره ؟

لذلك يجب ان نكون مقتنعين تمام الاقتناع بأن من يقوم بما هو مستطاعٌ لديه لا يرفض له الله نعمته، وان الذين يحبون الله كل شيء يعاونهم للخير، وقد أضاف احد القديسين الى هذه العبارة الرسولية الاخيرة قوله : أجل، كل شيء حتى خطاياهم نفسها

٠٨ هل نفهم ان هذه الاعتبارات التي لها علاقة بجميع نواحي الحياة في الحقل اللاهوتي، والتاريخي، والروحي، والرعائي، يجب ان تتغلغل في جميع نواحي حياتنا الرعائية العملية، اي في جميع علاقاتنا مع الغير الكاثوليك، لنسندهم بمعاضدتنا الاخوية في سبيل الحياة وفي طريق العيشة المسيحية التي هي ايضاً حق وحياة في عالم لا تُشرق عليه دوماً شمس البرّ البهية؟

٠٩ هل سرنا على ضوء هذه الاعتبارات في علاقاتنا مع غير الكاثوليك ؟ ألم نكن انانيين في حصولنا على الحقيقة ؛ او متكبرين كما لو كان الفضل لنا في الحصول على النور والحياة ؛ او غير مبالين كالذين يتكلم عليهم الانجيل في حادث السامري الرحيم، او قساة كالفريسيين ؟

فان هنالك عيبين متناقضين : وسع الافكار الكاذب الذي يقيس جميع الاشياء بمقياس الحكم الذاتي، سواء كان ذلك عن جهل او عن فكرية خاصة او عن سلامة نية ينقصها الاطلاع ؛ وضيق الفكر القاسي الذي يحسم الامور كلها على قياس الفكر الضيّق، وهو يجهل الآفاق البشرية وطولها وعرضها وعلوّها وعددها، فيكون في حكمه ضلال وظلم وعدم محبة

١٠ هل نفهم ان الصلاة سهلة، سهولة نسبيّة، ما لم يُقصد منها اسناد الحياة المسيحية السخية، فتكون حينئذٍ مهمازاً يحثّ ولا يُشفق دوماً على الانسان العتيق الميّال ابداً الى الصعود من القبر الذي دفنته فيه المعمودية، بحسب احوال الحياة على هذه الارض ؟ وهل نفهم انه لا بدّ، لادراك ما يدور حول معضلة الاتحاد، من مزاولة بعض الدروس والابحاث لنُشعل بها مصباحاً لا يشعّ دوماً من ذاته انواراً ساطعة تنير السبيل الذي يجب السلوك فيه لا للمحافظة على الانقسام بل للعمل مع نعمة الله على ازالته ؟ هل نفهم أنه لا بدّ ايضاً من العمل في هذا السبيل بحسب الاحوال والبيئة التي قيّضت لنا عناية الله ان نعيش فيها ؟

١١ . الى هذه الناحية العملية يجب ان يوجّه خصوصاً فحص ضميرنا نحن دعاة الاتحاد :

ففي الواقع ماذا نفعل لاجل الاتحاد، وما هو مقدار عملنا ؟ هل هو قليل، ام كثير، ام لا شيء ؟ هل نحن مسرورون بما نعمله من هذا القبيل ؟ أليس في سلوكنا ما يستوجب التغيير والاصلاح ؟ ام كل شيء في نظرنا ممتاز يغور في لجة شخصيتنا الوضيعة ؟

ما هي الرسالة الفردية التي أؤدّيها مع غير الكاثوليك ممّن يعيشون حولي ؟ ان الغيرة الحقة لا تنفي الفطنة ولا رقّة الأساليب، ولا تتوهّم بشأن النتائج السريعة الباهرة، ولا تقنط، ولا تسعى لذاتها بل لخير القريب الذي يبدو احياناً هو والغيرة على طرفي نقيض . ولا ننسَ ان الذين يتقاعسون عن العمل ينجون وحدهم من الوقوع في بعض الاخطاء .

ما هي الرسالة الاجتماعية التي أؤدّيها في هذا الحقل الاتحادي ؟ فمن المعروف ان

القوة بالاتحاد، وان الاشتراك في العمل من عناصر العمل المجدي . وانا اعرف ان بعض الشركات قد تأسست للعمل في سبيل الاتحاد . فهل ابدي لها اهتماماً ؟ وهل اهتمامي هذا نظريّ ام عمليّ ؟ وما هي مظاهر وجهه العملي ؟ ما هي التضحيات التي بذلتها في سبيل الاتحاد ؟ التضحيات المالية ؟ والتضحيات بالوقت ؟ والتضحيات باللذات الباطلة ؟ هل أعدّ من المجاهدين الذين يستطيع مشروع الاتحاد ان يعتمد عليهم ؟ ام انا من الهواة الذين يعملون على سبيل التسلية، او من الرسل الذين لا يحيدون عن جادة الرغد والنعيم والرفاه ؟

أقيمت لاجل اتحاد جميع المسيحيين ثمانية او اسبوع صلاة يُتوقّع من حسن الاحتفال بها خير عظيم، ولا سيا لاعداد جوّ فائق الطبيعة للعمل في سبيل الاتحاد ولتحقيق الاتحاد . فكيف أحتفل بأسبوع الاتحاد هذا ؟ وهل هذه الممارسة شائعة في كنيستي الرعائية ؟ وهل اشترك في صلواتها هناك تأديةً لواجب المثل الصالح في بيئتي الخاصة ؟ وهل استطيع ان افعل شيئاً لنشرها وتشجيع الاقبال عليها ؟

١٢ . هل وجّهت انتباهي الى الشركات الاتحادية المتعدّدة التي تنشأ في العالم الكاثوليكي المسيحي لتقوية العمل الفردي في سبيل الاتحاد ؟ — واذا كنتُ عضواً في احدى هذه الشركات، هل انا عضو بالاسم ام بالفعل ؟ وما هي التضحيات التي أقوم بها في سبيل المشروع ؟ وهل انا فيها عضو نقّاد عن بصيرة نيّرة، يسعى دوماً لما هو احسن وافضل، ام انا من المنتقدين عن ميل في الطبع او في العاطفة ؟

١٣ . نحن معشر مديري العمل الاتحادي والعمل الرسولي، هل نستوحي في عملنا تعاليم الكنيسة الرسمية المسجّلة في الوثائق الحبرية؟ هل نستوحيها لتنظيم عملنا الشخصي من حيث المبادئ والسلوك ؟

معلوم ان العمل الرعائي هو في الوقت نفسه علمٌ وفنٌ، وهو فوق كل شيء

توفيق بين الوسائل والغاية . وهذا التوفيق لا بدّ ان يكون حاليًا، لان احوال الحياة تتغيّر حتماً في الاماكن ذاتها على توالي العصور، فكم بالحري تتغيّر بتغيّر الامكنة والازمنة . نحن ابناء اليوم، والهدف الذي نسير اليه هدفٌ حاليّ حاضر . فيجب ان يكون عملنا الرعاني ايضاً حاليًا وحاضراً . وإلّا كان غير موافق لمقتضى الحال، ومن ثمّ عقيماً بل مضراً لعدم موافقته مقتضى الحال . ان مهمة التاريخ الماضي ان تنير خطواتنا في الحاضر . فلا نستطيع ان نبني صوابية عملنا اليوم على ما جرى في الماضي، والّا كان عملنا الرعاني فاسداً

ان التعاليم الحبرية تحرّض المرسلين الذين يعملون في الشرق على ان يوجّهوا عملهم الرسولي توجيهاً شرقياً، فهل بنينا عملنا على هذا الاساس، ولو تقاضى منّا ذلك تعديلًا في افكارنا وسلوكنا ؟

١٤ . الحق والمحبة هما العصبان القويان لكل عمل اتحادي . فهل نجري نحن على هذه الخطة، موفّقين دوماً بين مطالب الحق ومطالب المحبة المتمازجين تمازجاً لا ينفصم ؟

الحقّ هو المحرّر، والمحبة نفسها لا تستطيع ان تعمل الّا ضمن دائرة الحقّ ونطاقه . على ان الحقّ الكامل ليس الّا مجموع حقائق متعدّدة، وكثيراً ما ينبغي ستر سطوع بعض الحقائق على بعض البصائر الغريبة لئلا تعميها، فيؤتى بها تدريجاً الى معرفة الحق التام بواسطة الحقائق الخاصة الاقرب منالًا . فالمحبة تقضي في مثل هذه الحال ان نبسط للنفوس الحقائق الأقل سطوعاً لنأتي بها تدريجاً الى ادراك ما هو اشدّ سطوعاً . فان هنالك تعصباً للحقّ يحمل صاحبه على التهويل براية الحقّ في اوانه وفي غير اوانه . كما ان هنالك ايضاً محبّةً تبالغ في عدم النظر، مع ان المحبة عادةً ليّنة حتى في تعاميها . فلزوم حدّ الاعتدال في هذه الاحوال امر راجع الى الحكم الذاتي، وهو دوماً عسير التحقيق . أجل، على أنه يجب السعي نحو هذا الهدف، مع تجنب القساوة الخالية من المحبة، واجتناب المحبة التي لا تحيد عن الحقيقة



هوذا حمل الله، الذي يرفع خطيئة العالم

نتيجة الفحص

لنجثُ امام المصلوب، ولنؤدِّ له تعويضاً شرفياً عن خطايانا الخاصة واخلالنا في العمل في سبيل الاتحاد، ضامّين تعويضنا هذا الى تعويضات حمل الله الذي أخذ على عاتقه خطايا العالم. ونحن نعلم ما هو ثقل خطايا الانقسام التي نجم عنها مثل هذه العواقب الوخيمة!

تعويض شرفي

عن خطيئة انقسام المسيحيين

ايها المسيح الاله المحب البشر، الوسيط العام، الذي اراد ان يشرك جميع البشر في حياته الالهية في حضن الثالوث العجيب، ويمنحهم عربون الميراث السماوي بنعمة المعمودية التي جعلتهم ابناء الله والكنيسة، ها نحن جاثون عند قدميك بتذلل، تخالج قلوبنا عاطفة الحب البليغة والخجل الشديد والتوبة الخالصة

نعم يا رب، نجرؤ على ان نقول لك كرسولك : انت تعلم يا رب انّا نحبك . أجل نريد ان نحبك بكل قلبنا وكل قوتنا وكل نفسنا . فمر يا سيّد بما تشاء، لكن هبنا ما تأمر به

نحن ممثلي المسيحيين الحقيرين لدى مذابحك، نشعر بخزي بليغ يملأ نفوسنا تجاه مشهد انقسام اولادك الجدير بكل رثاء

١

١ – « نحن كلنا قد اعتمدنا بالمسيح، ولبسنا المسيح، ولسنا سوى شخص واحد في المسيح يسوع » . وانقساماتنا تكذيب صريح لهذه الاقوال الرسولية . فسماحك يا رب، سماحك عن انقسام المسيحيين

٢ – نحن نعترف كل يوم في قانون ايماننا الأكيد بكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية، ثم ننقض ايماننا هذا تجاه العالم كله بانقساماتنا وننكر هذه العلامات الأصلية لكنيستك التي لا تتغيَّر . فسماحك، يا رب، سماحك عن انقسام المسيحيين

٣ – نحن نصلي كل يوم ليأتي ملكوتك، وتتم مشيئتك على الارض كما في السماء، ثم نضع بشيء من العناد دون هذا الملكوت مانع الانقسام، انقسام العقول والقلوب والمشيئات . فسماحك، يا رب، سماحك عن انقسام المسيحيين

٤ — لقد أقمتَ لأولاد الآب الذي في السماوات الذين جعلتهم اخوةً لك مائدتك الافخارستية سرّ التقوى البنوية، علامة الوحدة، ورباط المحبة، ورمز الاتفاق، وعامل الاتحاد في حضن كنيستك؛ والانقسام يمنع اولاد الآب السماوي من الجلوس جنباً الى جنب للاشتراك في وليمتك المقدسة . فسماحك، يا رب، سماحك عن انقسام المسيحيين

٥ — نحن نؤمن بجسدك السري، اي كنيستك التي هي معك جسد واحد انت رأسه، والتي احببتها فبذلتَ ذاتك عنها لتقدسها بعد ان طهرتها بغسل المعمودية لتظهرها امامك مجيدة لا عيب فيها ولا غضن ولا شيء مثل ذلك بل مقدسة نقية؛ واولئك الذين يدعون انفسهم اخوتك وابناء الله واولاد هذه الكنيسة يُصرّون على حفظ الخرق الذي الحقوه بالقميص غير المخيط الذي سربلتَ به امهم عروسك النقية والذي رفض جلادوك انفسهم ان يقتسموه . فسماحك، يا رب، سماحك عن انقسام المسيحيين

٦ — عند حلول ذبيحتك الاخيرة اعطيتنا وصيةً جديدة جعلتها وصيتك والعلامة التي بها يعرف الجميع انّا تلاميذك، اي وصية المحبة المتبادلة . ونحن لا نحبك بما اننا منقسمون وبما ان البشر بسبب انقساماتنا لا يؤمنون بالذي ارسلته، اذ لا يعرفون ان يميّزوا في بلبلة الانقسام وجهك الحقيقي ووجه كنيستك التي لا تتغير. فسماحك يا رب، سماحك عن انقسام المسيحيين

٧ — نحن نقرأ جميعنا الكتب المقدسة كما نقرأ رسالةً من الآب السماوي لأولاده الذين على الارض، ونظلّ غير متأثرين من تحريضاتها التي تقضي على الانقسام. فسماحك، يا رب، سماحك عن انقسام المسيحيين

٨ — نحن ندعو جميعاً مريم ام الله وام البشر، ولا نلبي الا بقساوة قلوبنا دعوتها الوالدية المحرضة ايانا على ان نكون اخوة بعضنا لبعض بما اننا ندعوها جميعاً منا . فسماحك، يا رب، سماحك عن انقسام المسيحيين

٩ — ان الذين ولدونا في الايمان، اي آباء الكنيسة القديسين اثناسيوس

باسيليوس الكبير ويوحنا الذهبي الفم وغيرهم يضعون على افواهنا كل يوم في الفرض الالهي في القداس هذه الابتهالات: «اجمع يا رب المتفرقين، كفّ انشقاقات الكنائس» . نحن نتلو هذه الصلوات الحارة بالشفاه ولا ندعها تلج الى قلوبنا بما اننا لا نعمل على حقيقها . فسماحك، يا رب، سماحك عن انقسام المسيحيين

٢

١ — فبناء على ذلك، عن نسياننا الصلاة المتواترة الحارة الاخوية لاجل وحدة المسيحيين، نطلب سماحك يا رب

٢ — وعن انانيتنا في الحصول على حقيقتك السامية المفيدة، نطلب سماحك يا رب

٣ — وعن جميع زلاتنا التي لها تأثيرها في حياة الجسم السري الذي نحن اعضاؤه، وعن قلة سخائنا وعن عيوبنا ونقائصنا في علاقاتنا مع اخوتنا المنفصلين عنّا، نطلب سماحك يا رب

٤ — وعن احكامنا القاسية نحوهم، وتصلّبنا الذي لا اساس له، وضيق افكارنا ومبالغاتنا، وتهكماتنا السهلة، واتّهاماتنا البديهية لهم، نطلب سماحك يا رب

٥ — وعن ميلنا المؤسف الى رؤية القذى في عيون اخوتنا المنفصلين وتجسيمه بدل ان ننظر الى ما فيهم من الخير وما في سلوكهم من صدق واستقامة واخلاص، نطلب سماحك يا رب

٦ — وعن الشكوك التي صدرت من سلوكنا، فأخرت او نقصت او أزالت مفعول النعمة في نفوسهم، نطلب سماحك يا رب

٣

١ — ايها المسيح يسوع المحب البشر، نبتهل اليك بتذلل : ليكن جميع المسيحيين واحداً كما انت وابوك واحد؛ لنكن نحن فيك وانت في الآب مكمّلين في الوحدة . قدّسنا في الحقّ لنكون نحن ايضاً مقدّسين حقّاً

٢ - اجمع المتفرقين . اهدِ الضالين . كفَّ انشقاقات الكنائس المسيحية

٣ - أنِرْ يا رب العقول المسيحية لتعرف جيداً مآربك الالهية بشأن كنيستك الواحدة المقدّسة الجامعة الرسولية المعصومة عن الضلال والثابتة هي هي لا تتغيَّر

٤ - هبهم كامل معرفة مشيئتك، في كل حكمة وفهم روحي، ليسلكوا كما يحقّ للرب في كل ما يرضيه، مثمرين بكل عمل صالح ونامين في معرفة الله ومتقوّين بكل قوة على حسب قدرة مجده في كل صبرٍ واناةٍ وسرور

٥ - أفض عليهم حبّك، ليتمسكوا فوق كل شيء بالخير الغير المنظور، اي الله ومسيحه وكنيسته، ولا يعتبروا الباقي الّا فضلةً تُزاد لهم

٦ - قوِّ نفوسهم لاتمام مشيئاتك بكاملها، بحسب كمال وحيك الالهي

٧ - فانما نريد قبل كل شيء تحقيق مشيئاتك الكامل بشأن كنيستك المقدسة . نروم ذلك فوق جميع منافع هذا العالم، وبقطع النظر عن الحدود اللغوية والعنصرية والقومية ، وبالرغم من جهالاتنا واوهامنا واحقادنا ، وبالرغم من الموانع العقلية والروحية الماضية والحاضرة . نريد حقاً وبجميع قوى نفسنا ان لا نكون جميعاً الّا شخصاً واحداً في المسيح يسوع

٤

١ - اللهمّ لاجل مجد اسمك القدوس، اجمع في وحدتك شتات المسيحيين

٢ - اللهمّ لاجل انتصار الخير والحقّ الكامل " " " " " "

٣ - اللهمّ لكي يظهر للارض والخليقة كلها بهاء وعظم كنيستك، اجمع في وحدتك شتات المسيحيين

٤ - اللهمّ لكي تتمّ وحدة البشر في ظلّ وحدة كنيستك، اجمع في وحدتك شتات المسيحيين

٥ - اللهمّ لكي يسود السلام اخيراً في العالم، اجمع في وحدتك شتات المسيحيين

٦ - اللهمّ لاجل سعادة اولادك جميعهم " " " " " "

٧ – اللهمّ لكي تولي فرحاً عظيماً قلب ابنك وقلب امه القديسة، اجمع في وحدتك شتات المسيحيين

٥

١ – باسم الثالوث الاقدس، وباسم احكامه الازلية المفعمة صلاحاً لا يوصف؛ باسم ايماننا وباسم معموديتنا، وباسم انتمائنا الى تلك الاسرة الالهية اي كنيستك التي انت اسستها وانعشتها بروحك واقتدتها ايها المسيح الممجّد الجالس الى يمين الآب، الأساس الوحيد الغير المنظور وحجر الزاوية والصخرة غير المتزعزعة التي عليها يرتكز بناء الكنيسة المنظور الذي ارتضيت ان تشيّده ليوزّع على البشر استحقاقات الفداء، وتُدخل كل واحد في سلك التبني الالهي الذي حدّده دمُك . . . نعدُك يا رب بأن نكون عمّالاً غيُراً في سبيل اتحاد او اعادة اتحاد كنائسك في الوحدة التي اردتها. أجل، نعدك بذلك يا رب

٢ – لكنّا نعلم أنّا بدونك، يا رب، لا نستطيع شيئاً. فأسندنا بنعمتك في مقاصدنا ورغائبنا في البيئة التي وضعتنا فيها عنايتك. أسندنا يا رب

٣ – أعطنا يا رب روحك القدوس روح الاتحاد، والصلاة والسخاء المتزايد في اتمام الواجب المسيحي، واليقين في ما يتعلّق بتحقيق الوحدة المسيحية، والمحبة العملية في مجموع علاقاتنا مع اخوتنا المنفصلين، وروح العمل المناسب بفطنة طبيعية وفائقة الطبيعة

أسندنا يا رب لنفهم جيداً وبفكر واسع ماذا يفصل بيننا، وبالأكثر ماذا يجمع بيننا. اسندنا لنضع موضع العمل باخلاص وصدق آمن الوسائل لتمجيد الآب ابيك الخاص، ايها المسيح المحب البشر، وتمجيد كنيستك الواحدة المقدسة في كيانها الكامل الذي لا ينفصل عنك ولا عن ابيك الذي في السماوات

أسندنا يا رب لنُخضع مآربنا الخاصة الفردية المشتركة للمآرب السامية الراجعة الى الدين والبشرية والحضارة المسيحية في العالم، والى منفعة الاوطان الخاصة ايضاً.

أسندنا يا رب لنقدّر كما ينبغي مطالب كنيستك على الارض، على توالي عصور تاريخها حتى عصرنا الحاضر والحقبة الآتية ايضاً

اسندنا يا رب في محبة الافخارستيا ومحبة والدتك الالهية، فان هذين الحبّين المشتركين بيننا لم تستطع ان تلدهما الانقسامات مطلقاً

أعطنا يا رب روح الاتحاد

لبنيان جسدك السري، « لنصل الى وحدة الايمان ومعرفة ابن الله، الى حالة الانسان الكامل الى مقدار قامة ملء المسيح »

بصلوات آبائنا القديسين ارحمنا يا رب

لانك إله صالح ومحب البشر واليك نريد ان نؤدي التمجيد، ايها الآب والابن والروح القدس، الآن ودائماً والى دهر الدهور . آمين



بعض صلوات

لاستمداد وتغذية وتنمية روح الاتحاد

(مقتبسة من الطقس البيزنطي وبحسب روحه)

صلاة الصبح للثالوث القدوس

ايها الثالوث القدوس، انر بصيرتي وافتح فمي، لأهذّ بأقوالك وأفهم وصاياك واعمل بمشيئتك، وأرتّم لـك باعتراف القلب، وأنشيد لاسمك القدوس، ايها الآب والابن والروح القدس، الآن ودائماً والى دهر الدهور . آمين

تقدمة النهار لاجل الاتحاد

ايها المسيح الوسيط العام المحب البشر، اني اقدّم لـك بشفاعة الفائقة البركات المجيدة سيدتنا والدة الاله مريم الدائمة البتولية، صلوات واعمال واوجاع هذا النهار لاجل جميع الغايات التي لأجلها تُذبح دوماً على الهياكل . وأُقدمها لـك خصوصاً لاجل اتحاد الكنائس في كمال وحيك الالهي . آمين

قبل مختلف اعمال النهار

صلاة الى روح الحقّ – لاستمداد نعمة السلوك دوماً بحسب الهاماته

ايها الملك السماوي المعزّي، روح الحق الحاضر في كل مكان ومالئ كل شيء، كنز الصالحات وواهب الحياة، هلمّ واسكن فينا وطهّرنا من كل دنس وخلّص ايها الصالح نفوسنا

صلاة لاستمداد محبة مسيحية تزداد سخاء بروح الاتحاد

ايها السيد المحب البشر، أطلع في قلوبنا صافي نور معرفة لاهوتك . وافتح

عيون اذهاننا لفهم تعاليمك الانجيلية . ضع فينا ايضاً خشية وصاياك المغبوطة، حتى اذا وطئنا الشهوات الجسدية نسير سيرة روحية، مفكرين في كل ما يرضيك وعاملين به . فانك انت انارة نفوسنا واجسادنا، ايها المسيح الاله، واليك نرفع المجد، والى ابيك الازلي وروحك القدوس الصالح والمحيي، الآن ودائماً والى دهر الدهور . آمين

(من ليتورجيا القديس يوحنا فم الذهب قبل الانجيل)

صلاة لاجل وحدة الكنائس المسيحية الظاهرة

يا مريم ام الله، التي بواسطتها ترتقي الى الثالوث عبادة العالم بأسره، بحسب تعليم المعلمين، يا مــن هي « صولجان الرأي القويم » و « خادمة مقاصد الله »، التي تدعوها ايضاً أمّاً لنا بصوت واحد يردد صداه الشرق والغرب، اجعلينا نتغلب تحت حمايتك الوالدية على الانقسامات والمنازعات، لنصير نحن المسيحيين من جديد اخوةً بكل معنى الكلمة، كما كنّا، في وحدة ظاهرة للكنيسة، جسد ابنك الالهي السري . آمين

يا وسيطة جميع النعم الالهية، الينبوع المحيي، سيدة العالم وسيدة الوحدة المسيحية، اشفعي فينا . آمين



خاتمة الكتاب

١

لكل واحد منا، نحن معشر الكاثوليك والارثوذكس، وهو ينظر الى وجهته الخاصة، ان يقول مع القديس اوغسطينس «للمنفصلين» عن الكنيسة في ذلك العهد: « انت تجادلُ وتحاجُّ في سبيل جزء ولكي تظلَّ جزءاً في الكنيسة، وأنا اناقضك لكي تملك الكل بدل الجزء. ألا أدرك انها محاجّة مفعمة اتفاقاً، وافهم انه جدال المحبة. أنا لا اقول لك: قد غُلبتَ فارمِ سلاحك. لان مقسّمي الميراث لم يُرضوا يوماً سيدنا يسوع المسيح. كان يعظ الشعب ذات يوم، فجاءه انسان وقال: يا سيد، قل لأخي يقاسمني الميراث. فأجابه السيد الذي أتى ليحقق الوحدة – وقد قال ان لي خرافاً أُخرليست من هذه الحظيرة فينبغي لي ان آتي بها ايضاً لتكون رعية واحدة وراعٍ واحد – أجابه السيد الذي لم يكن يشاء ان يوّطد الانقسامات بل كان يحب الوحدة ويبغض الانقسام، بقوله: « يا هذا، من اقامني عليكم مقسماً للمواريث ؟ »

وانا لا اقول مع ذاك الرجل: يا سيد قل لاخي يقاسمني الميراث، بل اقول: يا سيد قل لاخي يشترك معي في الارث

كان القديسان أبتاتس واوغسطينس يقولان للدوناتيين: « انتم اخوتنا... وليس بوسعكم ان لا تكونوا اخوة، لان الكنيسة

الواحدة عينها أمكم وامنا قد ولدتكم كما ولدتنا بالاسرار عينها

أجل ليشترك معي أخي، حباً للوحدة او بالحري لإعادة الوحدة... كما كان ذلك في عهد المجامع المسكونية السبعة، وفي القرون العشرة اذ كانت عيشتنا مشتركة... في البيت الابوي بيت الآب الذي في السماوات، في البيت الذي انما هو العهد الجديد، كنيسة المسيح التي بناها الابن وبذل دونها دمه الزكي الكريم

٢

١ ـ فهنالك رسالة اتحادية فردية تعمل في حقل الحركة المسكونية، يقوم بها «اصدقاء الاتحاد» او اي شركة اتحادية أخرى وتقوم باستخدام الوسائل الخاصة بكل واحد بمفرده

لذلك نبيح لنفسنا ان ندعو كلًّا من قرّاء هذه السطور الى الانضمام عاجلًا الى المشاريع الاتحادية بالصلاة (باستخدام احدى الصلوات المذكورة آنفاً)، والى العمل في بيئته الخاصة، بحسب امكانية وموافقة الاحوال

فان هذا العمل الرسولي الفردي ثمين جداً وخصيب لا محالة، مهما ظهر من خلاف ذلك. فقد قال احد الشعراء:

لا تقل: ان كنتُ وحدي بين جمهورٍ كبير
ايُّ مفعول لحبّي او لمجهودي الحقير؟
ان مصباحاً ضئيلًا في الدجى نورٌ يُجير
ومصابيح كِثارٌ في الدُّجنات تُنير

٢ ــ على انه في بلادٍ كالشرق الادنى تمتزج فيها العناصر امتزاجاً متبادلًا، وتُثار فيها مسألة الوحدة المسيحية بطريقة حادّة، يجب ان يكون فيها التقارب كُتلوياً لا انفرادياً، اذ لا يُخلق الجوّ المناسب للاتحاد ولنتائج جمهورية عامّة الّا بواسطة التكتل والتعاون على العمل

فالانضواء الصريح تحت لواء شركة اتحادية او مشروع اتحادي يستطيع وحده ان يولي تلك الشركة او ذلك المشروع القوة لتحقيق منهاجها الاتحادي

٣ ــ والاشتراك الفردي الصريح هو الذي يتيح على الخصوص تحقيق تلك الوسيلة الفعالة الضرورية للامتزاج التي نسمّيها « نشرة او مجلة اخبارية » تفيدنا عن كل ما يتعلق بخير الكنائس الشرقية العام

٤ ــ وتكون قيمة هذه الشركة على قدر القيَم المسيحية في اعضائها، وعلى قدر اشعاعهم بواسطة الصلاة، والدرس، والعمل

على ان لعدد الاعضاء اهميته الرئيسية. لان الغاية المبتغاة انما هي انشاء حركة فكرية حيوية مسيحية، تمتد الى اوسع نطاق ممكن. فلا بدّ اذن ان يُحسب للعدد حساب

فكل مؤمن من طائفة الروم الكاثوليك، وكل مؤمن من طائفة الروم الارثوذكس، يستطيع ان ينضمّ الى « اصدقاء الاتحاد »



المسيح الممجد، الطريق الوحيد

المسيح والكنيسة

هذه الايقونة هي من تصوير المصوّر الروسي نستروف في كاتدرائية القديس فلادمير في كياف وهي تمثل طريقاً يفضي الى قدمي المسيح بين صفّين من الزنابق . هي الطريق الحقيقية، الوحيدة، في كمال الحقيقة والمحبة، وبها تُقصد الحياة الحقّة، الحياة في المسيح

« ان الكنيسة والمسيح هي المسيح بكامله، لان الجسم والرأس يكوّنان كائناً واحداً . فليس اذن الّا شخص واحد، هو شخص المسيح مع كنيسته » (القديس اوغسطينس)

« ليس في العالم اعظم من يسوع المسيح ؛ ومن بعد يسوع المسيح ليس في العالم اعظم من كنيسته . لان غاية هذه الكنيسة ان تواصل عمل يسوع المسيح وتكمله » (بانفول - كرسي بطرس ص٣٢١)

« من المستحيل ان لا ينجم عن وحدة جميع المسيحيين الكاملة نفع عظيم لجسد المسيح السري ولكلّ من اعضائه » (البابا بيوس الحادي عشر، والبابا بيوس الثاني عشر)

صلاة ... درس ... عمل

في سبيل تحقيق رغائب يسوع المسيح بتمامها وكمالها

في انشائه كنيسته الواحدة الغير المتزعزعة

ولاجل ازالة التناقض ... والخطيئة ... والشك ... والمعثرة ...

الناجمة عن انقسام المسيحيين

يجب ان يحنّ جميع المسيحيين حنيناً فائق الطبيعة

الى وحدة جسد المسيح السرّي اي الكنيسة

وحدة ظاهرة محسوسة

بروح التواضع ... والتوبة ... والقصد الصالح

في جوّ مشبع بالروح الفائقة الطبيعة

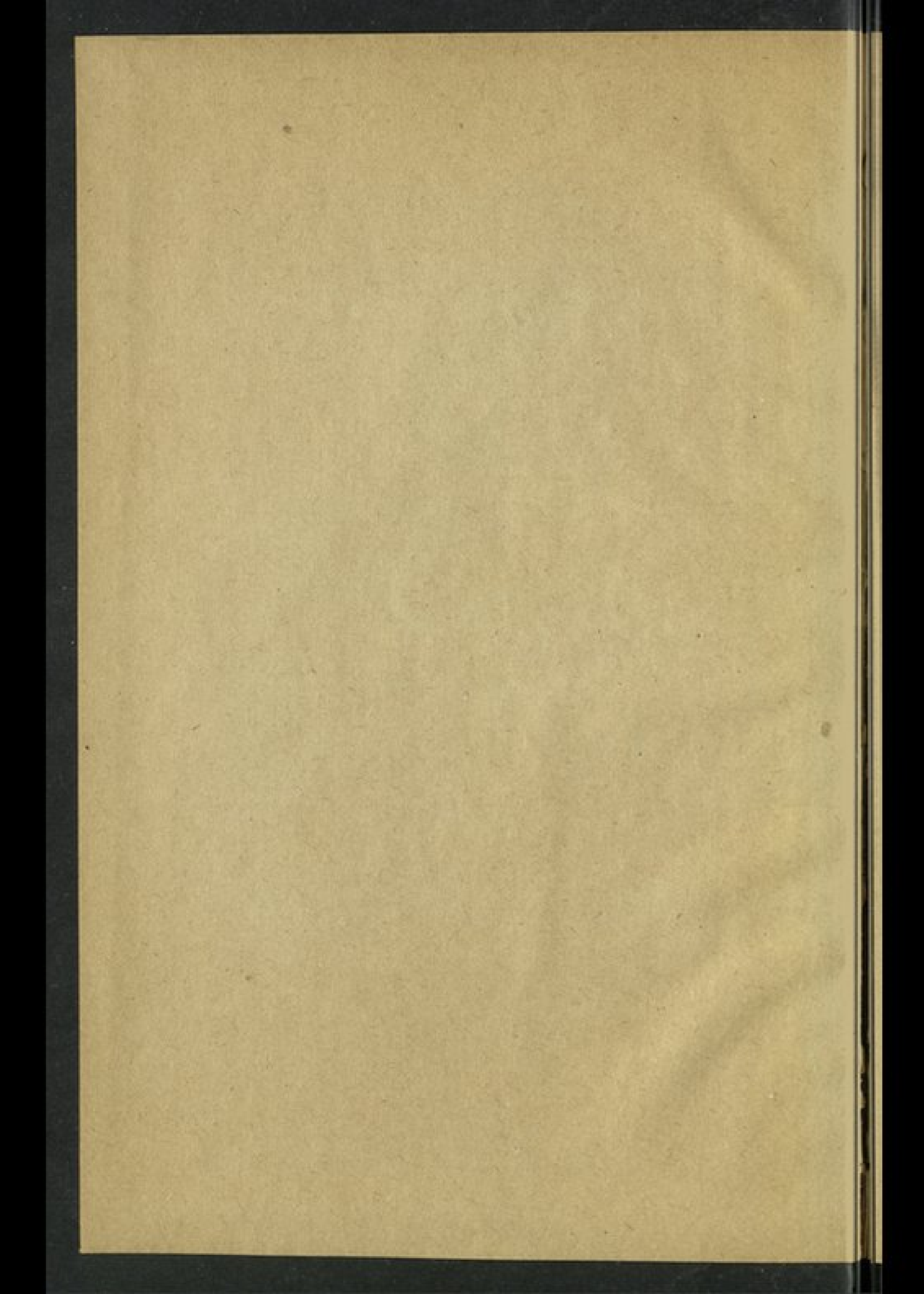
وبروح مسيحية ... كاملة ... لا يمازجها شيء يضادّها

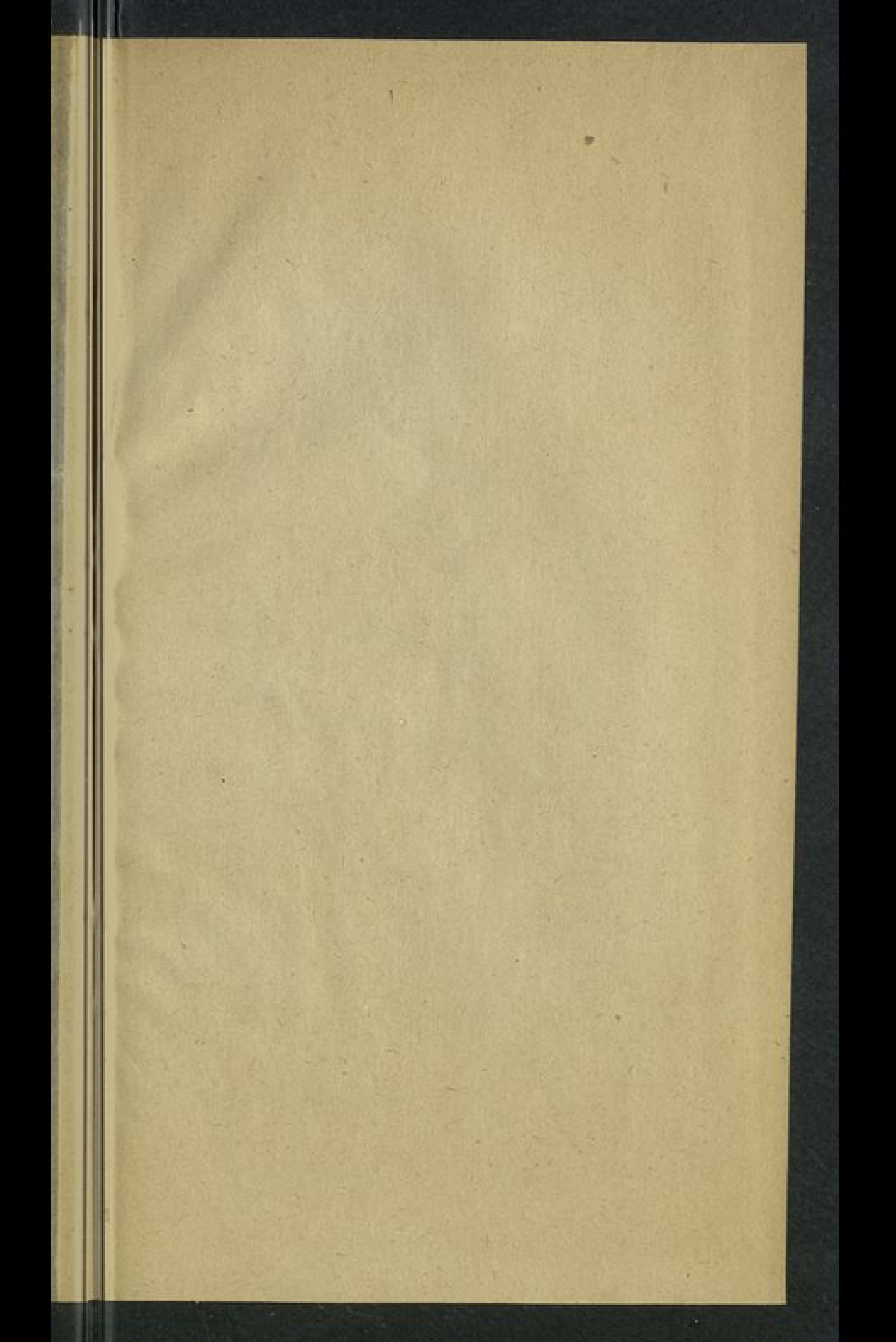
فهرس

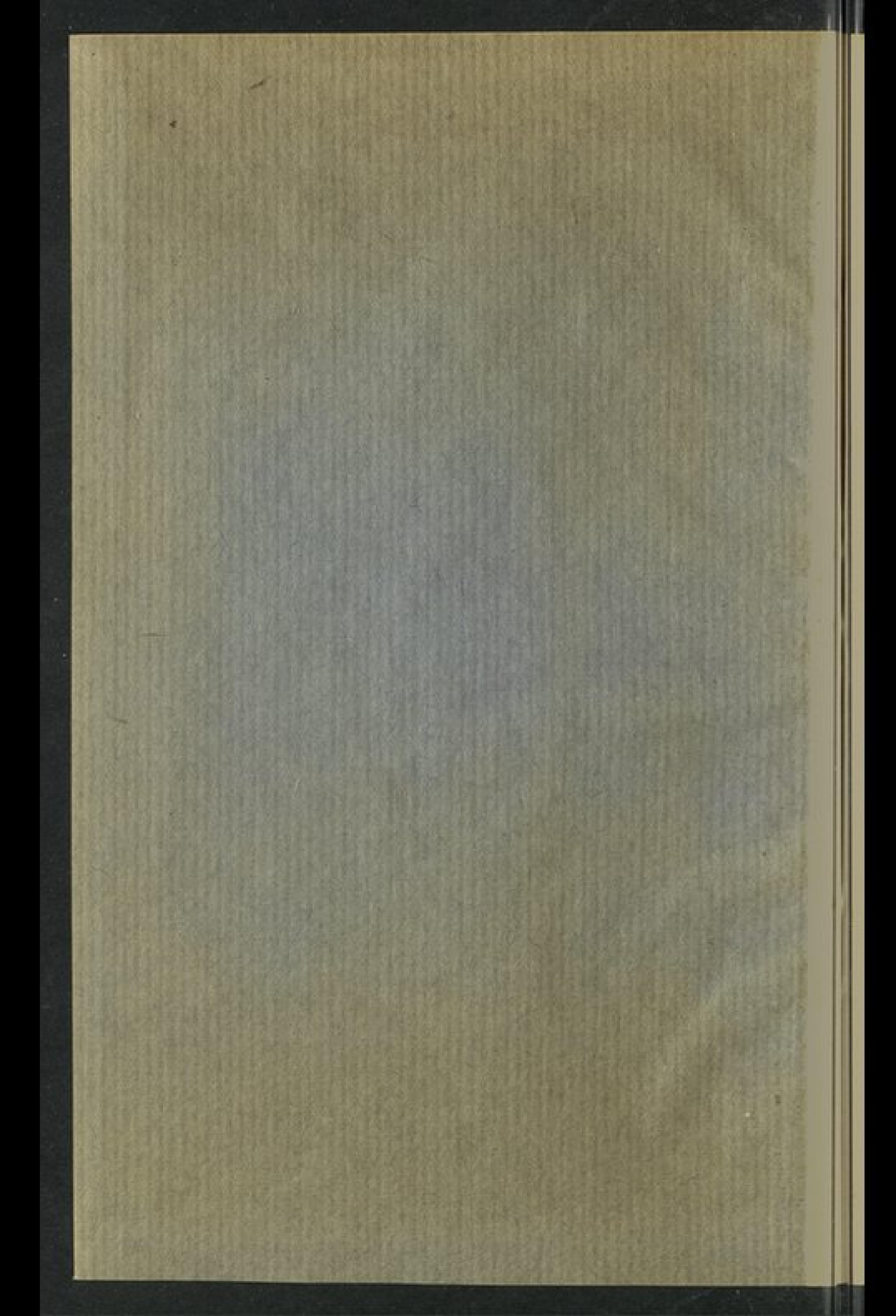
القسم الثاني

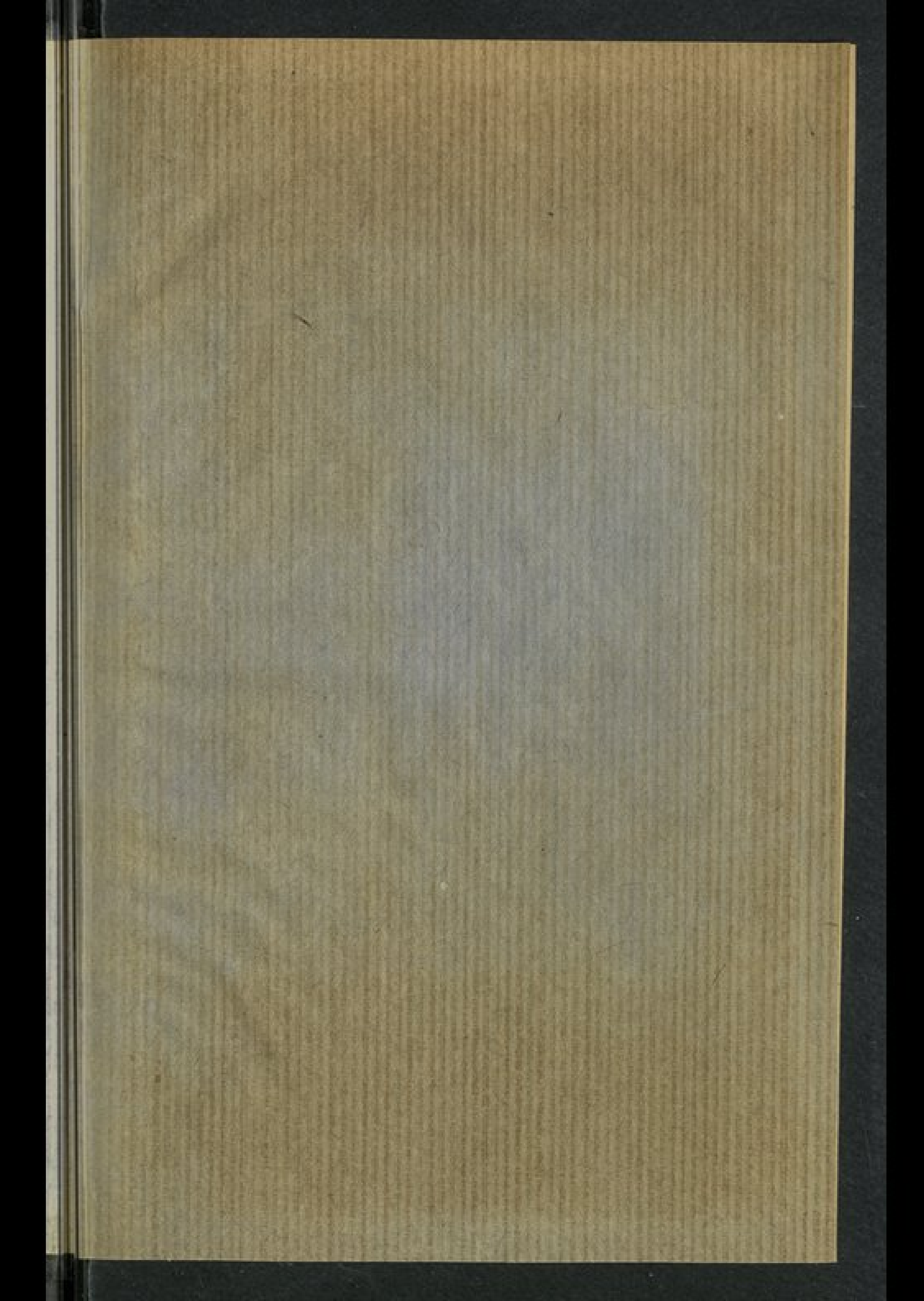
بين الكنيستين الرومانية والارثوذكسية ـ اصدقاء الاتحاد

صفحة









280.1:A81A:c.1
اصدقاء الاتحاد
دليل دعاة الوحدة
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES





280.1
D143dA
C.1